

الأخيه ناصيف

الروحُ ما قبل
في
الوجود الإنساني

والأخيه
بيروت

فهرس المحتويات

٣٧..... داعي الحب	٥..... المقدمة
٣٩..... فلرب عارضة	٧. الباب الأول: الشعر الوجداني
٤٠..... أفي الناس أمثالي	الباب الثاني: من الشعر الوجداني
٤٢..... قيس لبنى	١٥..... في العصر الجاهلي
٤٣..... مصائب الدهر	١٧..... المهلهل
٤٣..... لا أقر الله عينك	١٨..... رثاء كليب
٤٧..... مجنون ليلي	١٩..... الخنساء
٤٨..... حمامات بطوق	٢٠..... رثاء صخر
٤٨..... المؤنسة	٢٠..... قذى بعينك
٥١..... الصمة بن عبدالله بن الطفيل	٢١..... ما بال عينك
٥١..... حنين	٢٢..... قلب غير مهتضم
٥٣..... جرير	٢٤..... قس بن ساعدة
٥٤..... رثاء امرأته	الباب الثالث: من الشعر الوجداني
الباب الخامس: من الشعر الوجداني	٢٧..... في عصر صدر الإسلام
٥٧..... في العصر العباسي	٢٩..... حطان بن المعلى
٥٩..... الشريف الرضي	٢٩..... لولا بنيات
٥٩..... العمر روحة راكب	٣١..... متمم بن نويرة
٦٢..... العباس بن الأحنف	٣١..... هذا كله قبر مالك
٦٢..... لوعة قلب	٣١..... وكنا كندماني جذيمة
٦٣..... هول الفراق	الباب الرابع: من الشعر الوجداني
٦٥..... أبو فراس الحمداني	٣٣..... في العصر الأموي
٦٦..... أراك عصي الدمع	٣٥..... جميل بثينة
٦٩..... يا حسرة	٣٦..... لقد فرح الواشون
٧١..... مصابي جليل	

١١٠.....	يا نسيم البحر
١١٢.....	الأخطل الصغير
١١٢.....	كيف أنسى
١١٥.....	بدر شاكر السياب
١١٦.....	على الراية
١١٧.....	الياس أبو شبكة
١١٨.....	إجرح القلب
١١٩.....	خليل مطران
١٢٠.....	المساء
١٢٢.....	الأسد الباكي
١٢٤.....	أحمد شوقي
١٢٤.....	نكبة دمشق
١٢٧.....	إبراهيم ناجي
١٢٧.....	الأطلال
١٣٠.....	إيليا أبو ماضي
١٣٠.....	لبنان
١٣٢.....	وطن النجوم
١٣٤.....	الدكتورة مي حنا سعادة
١٣٤.....	من قال غاب
١٣٦.....	نقولا فياض
١٣٧.....	البحيرة
١٣٩.....	بولس سلامة
١٣٩.....	ألم
١٤١.....	وحده
١٤٥.....	صلاة
١٤٧.....	الباب الثامن: متفرقات

٧٣.....	الشاعر والحمامة
٧٤.....	المتنبى
٧٥.....	وصف الحمى
٧٨.....	رثاء جدته
٨٢.....	ابن الرومي
٨٣.....	رثاء ولده الأوسط
الباب السادس: من الشعر الوجداني	
٨٥.....	في العصر الأندلسي
٨٧.....	ابن زيدون
٨٨.....	أضحى التناهي
٨٩.....	إن يطل ليلى
٩٠.....	ابن سهل
٩٣...	لسان الدين بن الخطيب
٩٣.....	جارك الغيث
٩٦.....	علي الحصري
٩٦.....	يا ليل الصبّ
٩٨.....	المعتمد بن عباد

الباب السابع: من الشعر الوجداني

١٠١.....	في العصر الحديث
١٠٣.....	أبو القاسم الشابي
١٠٣.....	السامة
١٠٤.....	شكوى اليتيم
١٠٦.....	في ظل وادي الموت
١٠٩.....	الشاعر القروي
١٠٩.....	شكوى القروي



المقدمة

هذا الكتاب حلقة من سلسلة «أروع ما قيل» التي زاد عدد حلقاتها حتى الآن على العشرين. ولعلّ هذا الكتاب من صفوة ما في هذه السلسلة، ذلك أنّ الشعر الوجدانيّ من صفوة الشعر الغنائيّ. إنّ ذلك النوع من الشعر الغنائيّ الذي تتوقّد فيه العاطفة، فيغدو الشعر مع هذا التوقّد شفّافاً صادقاً يدخل القلوب دون استئذان. وإذا كان كذلك، فهو، بلا شك، من أروع ما في باب، إن لم يكن أروعه، وهكذا نجد الشعر الوجدانيّ في الغزل، والرثاء، والعتاب، والاعتذار، والشكوى، وغير ذلك.

وقد قسمتُ كتابي إلى سبعة أبواب مخصّصاً لكل عصر أدبيّ باباً، ومقدّماً للأعصر بباب صغير تكلمتُ فيه على الشعر الوجدانيّ، جاعلاً في كلّ باب ما وجدت أنّه أروع، أو من أروع ما قيل من شعر وجدانيّ فيه. وأخيراً أرجو أن يعجب هذا الكتاب القراء الأعزّاء كما أعجبهم باقي حلقات هذه السلسلة؛ والله وليّ التوفيق.

المؤلف

الباب الأول:

الشعر الوجدانيّ

لا بدّ قبل التعريف بالشعر الوجدانيّ، من التعريف بالشعر الغنائيّ، والوجدان، وذلك لأنّ الشعر الوجدانيّ نوع من الشعر الغنائيّ.

أمّا الشعر الغنائيّ، فقد جاء عنه في «المعجم الأدبيّ للدكتور المرحوم جبور عبد النور:

«١- اختلف القدماء والمُحدثون في تحديد الشُّعر الغنائيّ. فانطلق الفريق الأوّل من الشُّكل الخارجيّ، وانطلق الفريق الثاني من المضمون في التعريف به. وذلك لأنّ القدماء كانوا يُعَنِّون الشُّعر، فيرتّبون أبياته بطريقة تُيسِّر لهم إنشاده وتزتيّله، في حين أنّ المُحدثين نظروا إليه على أنّه تعبير عن العاطفة الإنسانيّة. ومع ذلك فقد أجمعوا كلّهم على أنّ الشُّعر الغنائيّ هو غناء النَّفس.

٢- يُعبّر هذا الشُّعر عن إحصاسات متأتية من الدّاخل أو من الخارج، لذلك اقتضى أن تكون للعواطف الفرديّة والجماعيّة صِفَة شاملة، لأنّ المعبّر أو المؤثّر في فرديّة الشّاعر هو ما يتضمّن معنى شاملاً، ويبتعث في السّامع أو القارئ شعوراً بالاستلطاف، ويتجاوز إحصاسات رجل معيّن في فترة زمنيّة عابرة فلا يمسّ مشاعر الإنسانيّة. وبهذا يتعارض في صميمه مع الشُّعر المُبهم.

٣- الشَّعر الغنائي حَيٌّ، حارٌّ، مؤثِّر، مُباغت، يَشيع فيه التَّفجُّر الدَّاخلي، والطَّفرات اللَّفْظِيَّة، والبيانيَّة والشَّكليَّة لأنَّه في الأساس انفعال وإثارة.

٤- يُعنى بالموضوعات الشَّخصيَّة والعامة التي تشمل حياة الإنسان والعالمين المَحسوس وغير المَحسوس اللَّذين يَنطلقان من الإنسان ويدوران حَوَله مُتَّسِعِينَ شَيْئًا فشيئًا ليشملا قضايا الفَرْد، والأسرة، والوَطن، والإنسانيَّة، والطَّبيعة، والعالم، والله.

٥- إذا أَحَبَّ الشَّاعر الغنائي وَصَفَ العالم لا يَكْتفي بالجانب المادِّي وَخَذَهُ لأنَّ عاطفته وطموحه يتجاوزان الإحساس بالواقع، بَلْ يَسعى لبلوغ سرِّ الأسباب، ويُصبح شِعره نوعًا من أرتياد عوالم ما وراء الطَّبيعة المُعَبِّرة عنها بالرُّسوم، والأخيلة، والإيقاع.

وجاء في «المعجم المفصل في اللغة والأدب»:

«هو الشعر الذي يعبرُ الشاعر فيه عن معاناته الشَّخصيَّة، وتجاربه الذاتِيَّة، بوصفه إنسانًا يحيا ويفكر ويحس ويتخيَّل. وهو إذ يعبرُ عن ذاته بالكلمة الجميلة والأسلوب المتفرد الجذاب، إنما يعبرُ بالفعل عن الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، ويعيش في كنفه متحسِّسًا همومه، مستشعرًا حاجاته وطموحاته، ملتزمًا قضايا المصيريَّة والحضارية، من حيث إنَّ الشعر هو ضمير الأُمَّة، وقلب الإنسانيَّة، ومن حيث إنَّ الشاعر هو البصيرة الرائيَّة، وهو حادي الرِّكب إلى الغد الأفضل، والوجود الأهنأ، وهو الدَّلِيل الخبير في رحلة الحياة الشَّاقَّة، ودروبها الشائكة، وهو الواحة الظليلة في هجير البحث عن الفردوس المفقود.

وكَلِّما أوغل الشَّعر الغنائي في التعبير عن خصوصيَّات الشَّاعر

الحميمة، منكفئاً فيها إلى ما يختلج في داخل الذات من تأملات، وانفعالات، وصبوات، كان أقرب إلى الشعر الوجداني. وكلما اتسع منظور الشاعر الغنائي ليعبر عما تثيره العوالم الخارجية، وحضور الآخرين في نفسه من ردود ومشاعر، وتصورات، ابتعد عن الوجدانية الغنائية، ليقف عند حدود الغنائية، وهما مرتبتان داخل النوع الشعري الواحد. وقد درج الباحثون على تقسيم الأنواع الشعرية إلى شعر غنائي ووجداني، وشعر قصصي وملحمي، وشعر تمثيلي، وشعر حكيم وتعليمي.

والشعر الغنائي هو أكثر الأنواع رواجاً. ويكاد ديوان الشعر العربي أن يقتصر عليه وحده من دون سائر الأنواع الأدبية كافة. وأغراضه هي الفخر، والوصف، والهجاء، والثناء، والغزل، والزهد، والاعتذار، والخمریات، والطرديات، وما إليها، مما لم يؤثر مثله في الآداب العالمية، كما وكيفاً. وهي أغراض وموضوعات فرضها واقع الحياة العربية، وظروفها الاجتماعية والتاريخية. وقد كان لها ما يبررها ويدفع إليها دفعا، واستطاع قدامى الشعراء العرب أن يرتقوا بها إلى الذرى الفنية العالية. كما أن الشعراء المعاصرين والمحدثين ما يزالون، منذ فجر النهضة إلى اليوم، يواكبون مد التطور الصاعد، ويستجيبون في إبداعهم الغنائي، لمقتضيات هذا التطور، مضموناً وشكلاً، بل إن طلائعهم تستشرف آفاقه، وترسم معالم الطريق بمنجزات تتجاوز الموروث، وترسخ أصول المعاصرة والحدثة.

أما الوجدان فهو «حالات نفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم، غير مؤدية إلى المعرفة في مقابل عمليات التصور والتفكير»، أو هو «الانفعالات والعواطف والأهواء»، أو هو «النفس وقواها الباطنة».

وأما الشعر الوجداني فهو عند ابن طباطبا في كتابه «عيار الشعر»:

«الشعر الذي يحكي ما في نفس السامع، ويحسن التعبير عنه، فيبتهج لذكر ما قد عرفه طبعه، وقبّله فهمه، فيثار بذلك ما كان دفينًا، ويبرز به ما كان مكنونًا، فينكشف للفهم غطاؤه، فيتمكن من وجدانه بعد العناء في نشدانه». أو «هو الشعر الغنائي، إلا أن الشاعر يعبر فيه عما يختلج في ذات نفسه، وفي دواخلها الحميمة، وليس نتيجة مؤثرات خارجية».

والشعر الوجداني هو الشعر الغنائي الذي نلاحظ فيه شدة المعاناة، وجيشان العواطف، وصدق التجربة، بعيدًا عن التستر والمداجاة، أو التكتّم والمراوغة، كلّ ذلك بشفافية صادقة، واعتراف قلب، وبوح نفس، بشكل عفوي تلقائي، كما تفوح الزهرة الأرجة بعطرها، وكما يغني الطائر الغرد على أفنان الشجر.

ومن أهمّ دوافع هذا النوع من الشعر الغنائي هو الألم، والمعاناة، ومرارة التجربة، ممّا يحمل الشاعر على البوح بما في نفسه من شعور بالألم، أو الوحدة، أو الحب، أو غير ذلك من العواطف الصادقة التي تلهب القلب، وترقق الحسّ، وتصفّي الذات.

«وهكذا فالشعر الوجداني ينطلق من قلب الشاعر ليتوجّه إلى قلبه، موحدًا بين الذات والموضوع، محوّلًا الشاعر إلى النبع والمصبّ في آن معًا. في حين نجد الأغراض الغنائية الأخرى تنبع من قلب الشاعر لتسكب في ذوات الآخرين (فالمدح يحمل عاطفة الشاعر إلى ممدوح، والهجاء إلى مهجو، والغزل إلى حبيب...)». من هنا القول: إنّ كلّ شعر وجداني هو شعر غنائي لسيطرة العاطفة عليه، وليس كلّ شعر غنائي وجدانيًا.

والشعر الغنائي يقع من الشعر العربي بمنزلة القلادة في الجيد حاملًا معه حرارة الانفعال والتأثير. ولطالما كنّا نراه يلتمع هنا ويومض هناك في

تضاعيف القصائد. ومن أربابه، في الأدب العربي القديم، نذكر أبا فراس
الحمداني، والمعتمد بن عباد. وقد أكمل هذا الشعر رحلته في الأدب
الحديث، فرأيناه واسع الانتشار في أدب المهجر والاغتراب.

* * *

الباب الثاني:

**من الشعر الوجدانيّ
في العصر الجاهليّ**

المهلل

هو عدي بن ربيعة التغلبي، وخال الشاعر امرئ القيس، لُقّب بالزير لكثرة مجالسته النساء. كان يقضي أيامه في اللهو وشرب الخمر. وكان له أخ اسمه وائل، ولقبه كليب، وامراته جليلة بنت مرة الشيباني من بكر، وكان لمرة عشرة بنين أصغرهم جسّاس. وحدث يوماً أن نزلت خالة جسّاس، واسمها البسوس، على جسّاس، فرمى كليب ناقتها وفصيلها بقوسه، فقتل الفصيل، وراحت الناقة تعجّ. فلما رأتها البسوس صاحت: «واذّلاه». فقال لها جسّاس: «اسكتي، فلك بناقتك ناقة أعظم منها». فأبت إلا رأس كليب. فقتل جسّاس كليلاً. وهب المهلل يطلب ثار أخيه. ونشبت الحرب بين بكر وتغلب، فدامت أربعين سنة ودُعيت حرب البسوس. وقد أبدى المهلل في تلك الحرب شجاعة نادرة، وأسِر في آخر الأمر، ومات في أسره سنة ٥٣١م.

للمهلل ديوان شعر أهم ما فيه رثاؤه لأخيه كليب. ورثاؤه مزيج من دمع وحرب، من عاطفة رقة تنبعث من قلب محبّ، وعاطفة خشونة تنبعث من حالة البراءة والفطرة.

* * *

رثاء كليب

أهَّاجَ قَدَاةَ عَيْنِي الْأَذْكَارُ هُدُوءًا فَالْدُّمُوعُ لَهَا أَنْحِدَارُ^(١)
 وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا كَانَ اللَّيْلُ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
 وَبِثُّ أَرَاقِبُ الْجُوزَاءِ حَتَّى تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا أَنْحِدَارُ^(٢)
 أَصْرَفُ مُقْلَتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ تَبَايَنَتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فَعَارُوا
 وَأَبْكَى وَالنَّجُومُ مُطْلَعَاتٌ كَانَ لَمْ تَخُورْهَا عَنِّي الْبَحَارُ
 عَلَى مَنْ لَوْ نُعِيتُ وَكَانَ حَيًّا لَقَادَ الْخَيْلَ يَحْجُبُهَا الْغُبَارُ
 دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبُ فَلَمْ تُجِبْنِي وَكَيْفَ يُجِيبُنِي الْبَلَدُ الْقِفَارُ
 أَجِبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَكَ دَمٌ ضَمِينَاتُ النُّفُوسِ لَهَا مَزَارُ
 أَجِبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَكَ دَمٌ لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا نِزَارُ
 سَقَاكَ الْعَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيَسَارُ
 أَبَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكْفَأَ كَانَ غَضَى الْقَتَادِ لَهَا شِفَارُ^(٣)
 وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ وَتَغْفُو عَنْهُمْ وَلَكَ أَقْتِدَارُ

* * *

(١) القداة: ما يخرج من العين الرمداء. هُدُوءًا: في هدأة الليل وسكونه.

(٢) الجوزاء: برج في السماء.

(٣) الغضى: نوع من الشجر. القتاد: الشوك. الشفار: منابت أهداب العين.

الخنساء

هي أم عمرو بنت عمرو بن الشريد السلمية الملقبة بالخنساء. ولدت نحو سنة ٥٧٥م، ونشأت في بيت ثروة وجاه. وكان لها أخوان: معاوية وصخر، وكان صخر يعطف عليها بنوع خاص، فقُتِلَا كلاهما. وكان لمقتلهما صدى بعيد في نفسها، فبكت حتى تقرّحت مقلتاها، بل حتى عميت، وذاب قلبها التياغاً، ورثتهما بشعر رقيق، وخَصَّتْ صخرًا بالقسم الأكبر منه. وقد أدركت الإسلام فاعتنقته مع بنيتها، وتُوفيت سنة ٦٦٤م.

لها ديوان شعر كله في رثاء أخويها، ولا سيّما صخر، يشعر من يقرأه أنه في مأتم يسمع فيه عويل النائحات، وندب النادبات. هو ديوان امرأة أصيبت في الصميم، وفقدت من تُحبّ ومن كان للحرب سيفًا بثارًا، وللمجالس سيّدًا مختارًا، وللقرى والضيافة نَحَارًا، وللنجدة فارسًا مغوارًا. وهي، في رثائها، تتمثل أبدًا أخاها وتخطبه. وتصوّره بحبّ أخوي صادق، وتبكي ولا تملّ من مخاطبة العينين تسألهما الدمع، والعينان تجبيان، وإذا الدمع نار في هشيم، وإذا اللوعة أبدًا في ازدياد. وفيما يلي بعض النماذج من رثائها.

* * *

رثاء صخر

يُؤرِّقُنِي التَّدَكُّرُ حِينَ أَمْسِي فَأُضْبِحُ قَدْ بُلِيتُ بِفَرْطِ نَحْسِ
عَلَى صَخْرٍ، وَأَيُّ قَتَى كَصَخْرٍ لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَطِعَانٍ خَلْسٍ؟^(١)
فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ رُزْءًا لِحِجْنٍ، وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ رُزْءًا لِإِنْسٍ^(٢)
يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذَكِّرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ، لَقَتَلْتُ نَفْسِي!
وَلَكِنْ لَا أَزَالُ أَرَى عَجُولًا وَبَاكِئَةً تَنُوحُ لِيَوْمِ نَحْسٍ^(٣)
أَرَاهَا وَالِهَا تَبْكِي أَخَاهَا عَشِيَّةَ رُزْءِهِ، أَوْ غِبَّ أَمْسٍ
وَمَا يَبْكِينَ مِثْلَ أَخِي، وَلَكِنْ أَعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي^(٤)
فَلَا، وَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ حَتَّى أَفَارِقَ مُهْجَتِي وَيُشَقَّ رَمْسِي
فَيَا لَهْفِي عَلَيْهِ وَلَهْفَ أُمِّي أَيْضِبُحُ فِي الضَّرِيحِ وَفِيهِ يُمْسِي!

* * *

قذى بعينك

قَذَى بَعَيْنِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أَمْ ذَرَّقْتَ أَنْ خَلْتَ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ؟^(٥)
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ، إِذَا خَطَرْتُ فَيُضُّ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ، مِذْرَارُ

(١) طعان خلس: طعان فيه إعجال وشجاعة وحذر.

(٢) الرزء: المصيبة.

(٣) العجول: الثكلى الشديدة الحزن من النساء.

(٤) التأسي: التصبر.

(٥) العوار: رمد العين. أن خلت: أي لأن خلت.

تَبْكِي لِصَخْرٍ، هِيَ الْعَبْرَى، وَقَدَوْلَهَتْ
تَبْكِي خُنَاسٌ، فَمَا تَتَفَكُّ، مَا عَمَرَتْ،
تَبْكِي خُنَاسٌ عَلَى صَخْرٍ، وَحَقَّ لَهَا،
لَا بُدَّ مِنْ مِيتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرَ
وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ أَسْتَارُ^(١)
لَهَا عَلَيْهِ رَيْنٌ، وَهِيَ مِفْتَارُ^(٢)
إِذْ رَابَهَا الدَّهْرُ إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ
وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ^(٣)

* * *

ما بال عينك

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا دَمْعُهَا سَرَبُ
أَمْ ذِكْرُ صَخْرٍ بُعِيدَ النَّوْمِ هَيَّجَهَا
يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ إِذَا رَكِبَتْ
قَدْ كَانَ حِصْنًا شَدِيدَ الرُّكْنِ مُمْتَنِعًا
كَمْ مِنْ ضَرَائِكَ هُلَاكِ وَأَزْمَلَةٍ
سَقِيًّا لِقَبْرِكَ مِنْ قَبْرِ وَلَا بَرَحَتْ
مَاذَا تَضْمَنَ مِنْ جُودٍ وَمِنْ كَرَمٍ
أَرَاغَهَا حُزْنٌ أَمْ عَادَهَا طَرَبُ
فَالدَّمْعُ مِنْهَا عَلَيْهِ الدَّهْرُ يَنْسَكِبُ
خَيْلٌ لِحَيْلٍ تُنَادِي ثُمَّ تَضْطَرِبُ
لَيْثًا إِذَا نَزَلَ الْفِثْيَانُ أَوْ رَكِبُوا
حَلُّوا لَدَيْكَ فَرَّالَتْ عَنْهُمْ الْكُرْبُ
جَوْدُ الرِّوَاعِدِ تَسْقِيهِ وَتَحْتَلِبُ^(٤)
وَمِنْ خَلَائِقَ مَا فِيهِنَّ مُقْتَضِبُ

* * *

هريقي من دموعك

هَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكَ أَوْ أَفِيقِي
وَقُولِي إِنَّ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ
وَصَبْرًا، إِنَّ أَطَقْتُ، وَلَنْ تُطِيقِي^(٥)
وَفَارِسُهُمْ بِصَحْرَاءِ الْعَقِيقِ

(١) العبرى: التي لا تجف دموعها. ولهت: اشتد جزعها. الأستار: طبقات التراب فوق الميت.

(٢) خُنَاس: الخنساء. المِفْتَار: المنكسرة.

(٣) في صرفها: في حدوثها وتصرفها. غير الدهر: نوابه. الحول: التحول.

(٤) جود الرواعد: الأمطار.

(٥) هريقي: أريقي، صُبِّي.

ولائي والبكا من بعد صخر
فلا وأبيك ما سلئت صدري
ولكني وجدت الصبر خيراً
ألا هل ترجعن لنا الليالي
ألا يا لهف نفسي بعد عيش
وإذ يتحاكم السادات طراً
وإذ فينا فوارس كل هنجاً
إذا ما الحرب صلصل ناجذاها
وإذ فينا معاوية بن عمرو
فبكيه فقد ولي حميداً
هو الرزء المبين لا كباس،
كسالكه سوى قضد الطريق
بفاحشة أتيت ولا عقوق^(١)
من الثقلين والرأس الحليق^(٢)
وأيام لنا يلوى الشقيق^(٣)
لنا بندي المختم والمضيق^(٤)
إلى أبياتنا وذوو الحقوق
إذا فزعوا وفتيان الخروق^(٥)
وفاجأها الكماء لدى البروق^(٦)
على أذماء كالجمال الفنيق^(٧)
أصيل الرأي محمود الصديق
عظيم الرأي يحلم بالنعيق^(٨)

* * *

-
- (١) أرادت أنها لا تجد في كل ما أتاه فاحشة ولا عقوقاً، فتسلو نفسها عنه.
(٢) تعتذر في هذا البيت عن صبرها، وتقول إنها وجدت الصبر خيراً من أن تحلق رأسها وتضربه بنقلين فتعفره، فعل الجاهليات إذا فقدن كريماً.
(٣) لوى الشقيق: موضع.
(٤) المختم والمضيق: موضعان.
(٥) الخروق، واحدها الخرق: القفر تتخرقه الرياح.
(٦) صلصل: صوت. ناجذاها، واحدها ناجذ: أقصى الأضراس.
(٧) الفنيق: الفحل المكرم.
(٨) يقال: رجل كباس، للذي يدخل رأسه بثوبه أو للذي إذا سأله حاجة كبس برأسه في جيب قميصه، وأرادت أنه كريم غير بخيل.

قلب غير مهتضم

يا عينُ فيضي بدمع منك مغزارٍ وابكي لصخرٍ بدمع منك مدرارٍ^(١)
 إني أرقْتُ فبتُ اللَّيْلَ سَاهِرَةً كأنما كُجِلْتُ عَيْنِي بِغُورٍ^(٢)
 أزعَى النُّجُومَ وما كَلَفْتُ رِغِيَّتَهَا وتارةً أَتَغَشَّى فَضْلَ أَطْمَارِي^(٣)
 وَقَدْ سَمَعْتُ فَلَمْ أَبْجَحْ بِهِ خَبْرًا مخبرًا قامَ يَنمي رَجْعَ أَخْبَارٍ^(٤)
 قال: ابنُ أَمِّكَ ثاوٍ بالضريحِ وقد سَوَّوا عَلَيْهِ بِالوَّاحِ وَأَحْجَارِ
 فاذْهَبْ فلا يُبْعِدُنكَ اللهُ من رَجُلٍ مَناعِ ضَيْمٍ وَطَلابٍ بِأَوْتَارٍ^(٥)
 قد كنتَ تَحْمِلُ قَلْبًا غيرَ مُهْتَضَمٍ، مرْكَبًا في نَصابٍ غيرِ خَوَّارٍ^(٦)
 مِثْلَ السَّنانِ تُضِيءُ اللَّيْلَ صَوْرَتُهُ جَلْدُ المَرِيرَةِ حُرٌّ وابنُ أَحرارٍ^(٧)
 أبكي فتى الحَيِّ نالَتْهُ مَنِيَّتُهُ وكلُّ نَفْسٍ إلى وَقْتٍ ومِقْدَارِ
 وَسَوْفَ أَبْكِيكَ ما ناحتَ مطوِّقَةٌ وما أضاءَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ للسَّاري

* * *

(١) المغزار: الكثير.

(٢) العوار: القذى.

(٣) أتغشى: أغطي. الأطمار، واحدها طمر: الثياب الرثة.

(٤) أبجح: أفرح. ينمي إليه حديثًا: يرفعه.

(٥) الأوتار، واحدها وتر: الثار.

(٦) النصاب: الأصل. الخوار: الضعيف.

(٧) الجلد: الشديد القوي. المريرة: عزة النفس والعزيمة.

قسّ بن ساعدة

هو قسّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية (١٠٠ - نحو ٢٣ ق.هـ/ نحو ٦٠٠ م). كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربيّ خطب متوكّئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه: «أما بعد». وكان يفد على قيصر الروم زائراً، فيكرمه ويعظمه، وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النبيّ (ﷺ) قبل النبوة، ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال: يُحشر أمة وحده^(١).

وروي في قصّة القصيدة التالية أنّ رجلاً قال للرسول (ﷺ): يا رسول الله: لقد رأيت من قسّ عجبا. قال: وما رأيت؟ قال: بينا أنا بجبل يقال له سِمعان في يوم شديد الحرّ، إذا أنا بقسّ بن ساعدة تحت ظلّ شجرة عند عين ماء، وعنده سباع، كلّما زار سبّع منها على صاحبه ضربه بيده وقال: كُفّ حتى يشرب الذي ورد قبلك. قال: فخفت. فقال: لا تخف. وإذا أنا بقبرين بينهما مسجد، فقلت له: ما هذان القبران؟ قال: هذان قبرا أخوين كانا لي، فماتا، فاتخذتُ بينهما مسجداً أعبد الله جلّ وعزّ فيه حتى ألحق بهما ثم ذكر أيامهما فبكى، ثم أنشأ يقول:

خِليّ هُبا طالما قد رَقَدْتُمَا أَجِدْكُمْ لَا تَقْضِيَانِ كَرَامَتُمَا

(١) الزركلي: الأعلام ١٩٦/٥.

أَلَمْ تَغْلَمَا مَا لِي بِرَاوَنْدَ هَذِهِ
 أَقِيمُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا
 جَرَى الْمَوْتُ مَجْرَى اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمَا
 تَحْمَلُ مِنْ يَهْوِي الْقُفُولِ وَغَادَرُوا
 فَأَيُّ أَخٍ يَجْفُو أَخًا بَعْدَ مَوْتِهِ
 أَصَبْتُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا مِنْ مُدَامَةٍ
 كَأَنَّكُمَا وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ غَايَةٍ
 أَنَادِيكُمَا كَيْمَا تُجِيبَا وَتَنْطِقَا
 أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لَا تَجِيبَانِ دَاعِيًا
 قَضَيْتُ بِأَنِّي لَا مُحَالَةَ هَالِكٌ
 فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَقَايَةً
 سَابِكِيكُمَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي
 وَلَا بِخَزَاقٍ مِنْ نَدِيمٍ سَوَاكُمَا^(١)
 طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يَجِيبُ صَدَاكُمَا^(٢)
 كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْعَقَارَ سَقَاكُمَا
 أَخًا لَكُمَا أَشْجَاهُ مَا قَدْ شَجَاكُمَا^(٣)
 فَلَسْتُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ جَفَاكُمَا
 فَإِلَّا تَنَالَاهَا تُرَوُّ ثَرَاكُمَا^(٤)
 بِجَسَمِي فِي قَبْرَيْكُمَا قَدْ أَتَاكُمَا
 وَلَيْسَ مَجَابًا صَوْتُهُ مَنْ دَعَاكُمَا
 خَلِيلِي مَا هَذَا الَّذِي قَدْ دَهَاكُمَا^(٥)
 وَأَنِّي سَيَعْرُونِي الَّذِي قَدْ عَرَاكُمَا
 لَجَدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَاكُمَا
 يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوْلَةٍ إِنَّ بَكََاكُمَا^(٦)

* * *

وهناك روايات أخرى في مناسبة هذه القصيدة منها: قال عيسى بن
 قدامة الأسدي، وكان قدم قاسان (مدينة على حدود الترك)، وكان له
 نديمان فماتا، وكان يجيء فيجلس عند القبرين، وهما براوند في موضع
 يقال له خزاق، فيشرب ويصب على القبرين حتى يقضي وطره، ثم ينصرف

(١) راوند: بلدة قرب أصفهان. خزاق: اسم موضع.

(٢) أقيم: أبقى. بارحًا: مغادرًا.

(٣) القفول: العودة.

(٤) الثرى: التراب.

(٥) دهاكما: أصابكما.

(٦) العولة: حرارة الحزن.

وينشد وهو يشرب (القصيدة).

وقيل أيضًا: إن ثلاثة نفر من أهل الكوفة كانوا في الجيش الذي وجهه الحجاج إلى الديلم، وكانوا يتنادمون لا يخالطون غيرهم، وبيننا هم على ذلك مات أحدهم فدفنه صاحبه، وكانا يشربان عند قبره، فإذا بلغه الكأس (أي على الذي مات) صبّاها على قبره وبكى. ثم إن الثاني مات، فدفنه الباقي إلى جنب صاحبه، وكان يجلس عند قبريهما، فيشرب ويصب الكأس على الذي يليه، ثم على الآخر ويبكي. وقال (القصيدة).

* * *

الباب الثالث:

من الشعر الوجدانيّ
في عصر صدر الإسلام

حطان بن المعلّى

فتشنا كثيرًا عن ترجمة لهذا الشاعر العربي الإسلامي، فلم نقع على شيء من ترجمته، سوى قول خير الدين الزركي في كتابه «الأعلام»، الجزء الثاني، ص ٢٣٦: «حطان بن المعلّى شاعر إسلامي. اشتهر بقصيدة له، منها:

وإنما أولادنا حولنا أكبادنا تمشي على الأرض
إن هبّت الريح على بعضهم تمتنع العين من الغمض
«وهي في ديوان الحماسة». والواقع أن القصيدة المشار إليها تقع في سبعة أبيات. وقد أثبتها أبو تمام في كتابه «الحماسة»، كما أثبتها كل من الخطيب التبريزي، والمرزوقي في كتابه «شرح ديوان الحماسة». وفيما يلي هذه القصيدة:

* * *

لولا بُنَيَات

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إِلَى خَفْضٍ
وَعَالَنِي الدَّهْرُ بِوَفْرِ الْغِنَى فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي^(١)

(١) غالي الدهر: أخذه من حيث لا يدري.

أبْكَانِي الدَّهْرُ وَيَا زُبْمَا أَضْحَكُنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي
لَوْلَا بُنْيَاتُ كَزْغَبِ الْقَطَا يَزْدُذُنْ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ^(١)
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌّ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطَّوْلِ وَالْعَرْضِ
وَأِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنُنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ لَامْتَنَعَتْ عَيْنِي عَنِ الْغَمَضِ

* * *

(١) الزغب: صغار الريش. القطا: نوع من الطيور.

متمم بن نويرة

هو متمم بن نويرة بن جمرة اليربوعي التميمي (٠٠٠ - نحو ٥٣٠هـ/ نحو ٦٥٠م) شاعر فحل، صحابي، من أشرف قومه، اشتهر في الجاهلية والإسلام. قُتل أخوه مالك في حرب الردّة، فرثاه رثاءً حاراً، وظلّ يبكيه حتّى ابيضّت عيناه من الحزن، وحتّى أسخط عمر بن الخطاب على ما كان من قتل خالد بن الوليد له، وصار ندبه لأخيه مصير الأمثال، ومن بديع قوله فيه:

هذا كلّ قبر مالك

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ صَدِيقِي لَتَذْرَافِ الدَّمُوعِ السَّوَافِكِ
يَقُولُ: أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنِ اللَّوَى فَالذُّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الشَّجَى يَبْعَثُ الشَّجَى فَدَغْنِي، فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

وكنّا كندمانى جذيمة

أَبَى الصَّبْرَ آيَاتٍ أَرَاهَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ حَبْلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا^(١)
وَإِنِّي مَتَى مَا أَذْغُ بِاسْمِكَ لَا تُجِبْ وَكُنْتُ حَرِيًّا أَنْ تُجِيبَ وَتَسْمَعَا

(١) أقطع: مقطوع.

تَحْيِيَّتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيَا
فَإِنْ تَكُنِ الْآيَامُ فَرَّقَنَ بَيْنَنَا
وَكُنَّا كَنُذْمَانِي جَذِيمَةً حِقْبَةً
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا
وَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى أَصَاب مُتَالَعَا
وَأَمْسَى تُرَابًا فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلْقَعَا^(١)
فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي حِينَ وَدَّعَا^(٢)
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ: لَنْ يَتَّصِدَّعَا^(٣)
لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
أَوِ الرُّكْنِ مِنْ سَلَمَى إِذْ لَتَضَعُضَعَا^(٤)

* * *

(١) بلقع: أرض قفر.

(٢) بان: فارق.

(٣) جذيمة هو جذيمة الأبرش نازم مالكاً وعقيلاً ابني فارح بن كعب ثم قتلها. يتصدعا: يتفرقا.

(٤) متالع وسلمى: جبلان.

الباب الرابع:

من الشعر الوجدانيّ في العصر الأمويّ

جميل بثينة

هو جميل بن عبد الله بن معمر من قبيلة عذرة المشهورة بالجمال والعشق، والنازلة في وادي القرى^(١). وُلد في أغلب الظن في أواخر خلافة عثمان بن عفان، في بيت عزّ وجاه. ولع بحبّ قريبة له تدعى «بثينة»، فنُسب إليها، فعُرف بـ«جميل بثينة». تعلّق بها إثر حادثة ذكرها في شعره وهي أنّه أقبل يومًا بإبله حتى أوردّها وادي بغيز، واضطجع. وأقبلت بثينة ومرت على فصّال^(٢) له، فنقرتها، فسبّها جميل، فبادلته السباب. فكان هذا السباب بداية حبّ جارف، وفي ذلك يقول:

وأول ما قاد المودة بيننا بوادي بغيز يا بُثَيْنَ سبابُ
فقلنا لها قولًا فجاءت بمثلِهِ لكلّ خطابٍ يا بُثَيْنَ جوابُ

ولمّا جاء يخطبها إلى أبيها، صدّه، لأنّه شبّب بها، على عادة أهل زمانه، فزوّجها برجل آخر. فكانت الصدمة عنيفة جدًّا في نفسه، وازداد ولعه بها، فلامه أبوه ولكنه لم يرتدع، بل ظلّ يذكرها في شعره ويتردّد إلى بيتها خفية.

شكاه أهلها إلى مروان بن الحكم والي المدينة إذ ذاك، فأهدر دمه.

(١) هو واد في الحجاز على الطريق بين الشام والمدينة. سمي بـ«وادي القرى» لكثرة القرى المنتشرة فيه.

(٢) الفصّال: ج الفصيل، وهو ولد الناقة وقد فصل عن أمه.

وهرب جميل إلى الشام فمصر حيث توفي سنة ٨٢هـ / ٧٠١م.

* * *

لقد فرح الواشون

لَقَدْ فَرَحَ الْوَاشُونَ أَنْ صرَمَتْ حَبْلِي بَشِينَةٌ أَوْ أَبَدَتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ^(١)
يَقُولُونَ: مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لَأَقْسِمُ مَا لِي عَنْ بُشِينَةٍ مِنْ مَهْلٍ
أَحِلَّمَا؟! فَقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ أَمْ أَحْشَى فَقَبْلَ الْيَوْمِ أَوْعِدْتُ بِالْقَتْلِ^(٢)
وَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَابِيهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي^(٣)
إِذَا مَا تَرَاَجَعْنَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيَّ بُشِينَةً بِالْكُحْلِ^(٤)
كِلَانَا بَكَى أَوْ كَادَ يَبْكِي صَبَابَةً إِلَى الْفِهِ وَأَسْتَعْجَلْتُ عِبْرَةً قَبْلِي^(٥)
فَيَا وَيْحَ نَفْسِي حَسْبُ نَفْسِي الَّذِي بِهَا وَيَا وَيْحَ أَهْلِي مَا أُصِيبَ بِهِ أَهْلِي^(٦)
أَرَانِي لَا أَلْقَى بُشِينَةً مَرَّةً مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا خَائِفًا أَوْ عَلَى رَحْلِ^(٧)
خَلِيلِي فِيمَا عُشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي؟^(٨)
فَإِنْ وَجَدْتَ نَعْلَ بَارِضٍ مُضِلَّةً مِنَ الْأَرْضِ يَوْمًا فاعلمي أَنَّهَا نَعْلِي^(٩)
أَبَيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذَوُوقَ فَضْلِي^(١٠)

(١) الواشون: ج الواشي، وهو النمام المفسد. صرمت: قطعت. حبلِي: حَبِي.

(٢) أحلما: أعقلا. أوعدت: هددت. وهنا إشارة إلى إهدار دمه من قبل الوالي.

(٣) طلابيها: أي طلبتي بشينة.

(٤) تراجعنا: تداولنا.

(٥) الصبابة: الحب، العبرة: الدمة.

(٦) يا ويح نفسي: أي يا لمصيبتي.

(٧) الرحل: ما يجعل على ظهر الناقة، أو السرج للجواد، وهنا بمعنى السفر.

(٨) خليلي: صديقي. ومخاطبة المثني تقليد للشعراء الجاهليين.

(٩) مضلة: يضل السائر فيها.

(١٠) أبيت: أنام. الهلاك: الفقراء أو الصعاليك. موسعون: أثرياء.

داعي الحب

عَاوَدْتُ مِنْ جُمْلٍ قَدِيمٍ صَبَابَتِي وَأَخْفَيْتُ مِنْ وَجْدِي الَّذِي كَانَ خَافِيًا^(١)
 وَرَدَّ الْهَوَى أَثْنَانُ حَتَّى اسْتَفْزَنِي مِنْ الْحَبِّ مَعْطُوفَ الْهَوَى مِنْ بِلَادِيَا^(٢)
 أَتَعَذِّرُ لَا بَلْ لَا مُحَالَةً أَنَّهُ مَلُومٌ إِذَا ذُو الشَّيْبِ رَامَ التَّصَابِيَا^(٣)
 حَبِيبٌ دَعَا عَنْ طَوْلِ لَيْلٍ حَبِيبُهُ صَبَا صَبُوءٌ لَمَّا أَطَالَ التَّقَائِيَا
 إِذَا قُلْتُ: أَنْسَاهَا تَرَدَّدَ حُبُّهَا كَذِي الدِّينِ يَقْضِي مَغْرَمًا كَانَ كَالِيَا^(٤)
 أَقُولُ لِدَاعِي الْحَبِّ وَالْحَجَرُ بَيْنَنَا وَوَادِي الْقُرَى: لَيْتَكَ لَمَّا دَعَانِيَا^(٥)
 كَأَنْ لَمْ يَكُنْ نَائِيٌّ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ تَلَاقٍ وَلَكِنْ لَا إِخَالُ تَلَاقِيَا^(٦)
 خَلِيلِي إِنْ لَمْ تَبْكِيَا لِي أَلْتَمِسُنِ خَلِيلًا إِذَا أَنْزَفْتُ دَمْعًا بَكِيَا لِيَا^(٧)
 وَقَالَ خَلِيلِي: إِنْ تِمَاءٌ مَوْعِدٌ لَيْسَنَ إِذَا مَا الصِّيفُ أَلْقَى الْمَرَاسِيَا^(٨)
 فَهَذِي شُهُورُ الصِّيفِ عَنَّا قَدْ أَنْقَضَتْ فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بَلِيلِي الْمَرَامِيَا^(٩)
 أَلَمْ تَكُ إِذْ أَهْلِي وَأَهْلُكَ جِيرَةً تَخْبِرُنِي إِنْ بَنَتْ أَلَّا تَلَاقِيَا^(١٠)
 ذَرِي رَدَّ قَوْلٍ قَدْ مَضَى كُنْتُ قَلْتُهُ وَلَغَيْتَ بِهِ أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِيَا^(١١)

(١) الصبابة: شدة الشوق. وجدي: شدة حبي وحرقة فؤادي.

(٢) أثنان: اسم موضع بالشام. استفزني: أثارني وهيجني.

(٣) التصابي: تكلف الهوى، أو الميل إلى الفتوة.

(٤) يقضي: يفي. المغرم: الدين. الكالي: المتأخر.

(٥) الحجر: ديار ثمود. وادي القرى: مكان تقطنه بشينة.

(٦) النأي: الفراق.

(٧) أنزف الدمع: أفناه.

(٨) ألقى المراسي: حل.

(٩) النوى: الفراق.

(١٠) بنت: ابتعدت.

(١١) ذري: اتركي. الضلة: الضلال، أو الهفوة.

وأنت التي إن شئت كذرت عيشتي
وأنت التي ما من صديق ولا عدو
فإنك لو تجلين نحو تهامة
وقد خفت أن يغترني الموت بغتة
وإني لتنسيني الحفيظة كلما
ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني
وما زلت بي يا بشن حتى لو أنني
إذا خدرت رجلي وقيل شفاؤها
وما زادني النأي المفرق بيننا
وددت على حبي الحياة لو أنها
فأقسمت لا أحو محباً ولا أرى
ولا أغترني عبرة بعد فترة
فلا تسمعوا قولاً لهم إن تظاهروا
فما زادني الواشون إلا صباة

وإن شئت بعد الله أنعمت باليا^(١)
يرى نضو ما أبقيت إلا رثى ليا^(٢)
أو الركن من حوران أصبحت جاليا^(٣)
وفي النفس حاجات إليك كما هيا^(٤)
لقيتك يوماً أن أبثك ما بيا^(٥)
أظل إذا لم أسق ماءك صاديا^(٦)
من الوجد استبكي الحمام بكى ليا
دعاء حبيب كنت أنت دُعائيا
سلوا ولا طول التلاقي تقاليا^(٧)
يزاد لها في عمرها من حياتيا
له لاحقاً إلا دعوت الجوازيا^(٨)
ولاً تداعى الحب مني تداعيا^(٩)
علي بلوم أنت سديته ليا^(١٠)
ولا زادني الناهون إلا تماديا^(١١)

(١) كذر العيش: نغصه.

(٢) النضو: المهزول.

(٣) تجلين: تترحين، ترحلين.

(٤) يغترني: يصيبني. البغتة: المفاجأة.

(٥) الحفيظة: الغضب. أبثك: أظهر لك، أطلعك.

(٦) الصادي: العطشان.

(٧) النأي: الفراق. التقالي: التباغض.

(٨) أحو: ألوم. الجوازي: الذين يجازون اللائم بمثل ما بي.

(٩) تداعى: كاد ينهار.

(١٠) سديته لي: وجهته نحوي، أو سببته.

(١١) الواشون: ج الواشي، وهو النقام المفسد. الصباة: الوجد. التمادي: الدوام على الشيء.

إذا علمت وَجَدِي بِهَا وَصَبَابَتِي فَإِنَّ الْمَنَايَا قَاصِدَاتٌ وَشَاتِيَا^(١)
وقالوا به دَاءٌ عِيَاءٌ أَصَابَهُ وَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي مَكَانَ دَوَائِيَا^(٢)
أَمْضُورِيَّةٌ لَيْلَى عَلَى أَنْ أَزُورَهَا وَمَتَّخِذٌ ذَنْبًا لَهَا أَنْ تَرَانِيَا^(٣)
هِيَ السَّحَرُ إِلَّا أَنَّ لِلْسَّحَرِ رُقِيَّةً وَإِنِّي لَا أُلْفِي لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا^(٤)
أَحَبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا وَأَشْبَهُهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مَدَانِيَا^(٥)

* * *

فَلَرَبُّ عَارِضَةٍ

أُبَيِّنَنَّ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاسْجُحِي وَخُذِي بِحِظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلِ^(٦)
فَلَرَبُّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَضَلَّهَا بِالْجَدِّ تَخْلِيطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ^(٧)
فَأَجَبْتُهَا بِالْقَوْلِ بَعْدَ تَسْتُرٍ حَبِّي بِشَيْئَةٍ عَنْ وَصَالِكَ شَاغِلِي
لَوْ كَانَ فِي صَدْرِي كَقَدْرِ قَلَامَةٍ فَضْلٌ وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَتْكَ رَسَائِلِي^(٨)
وَيَقْلَنَّ: إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ مِنْهَا فَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ
وَلِبَاطِلٍ مِمَّنْ أَحَبُّ حَدِيثُهُ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْبَغِيضِ الْبَاذِلِ^(٩)
لِيُزِلَنَّ عَنْكَ هَوَايَ ثُمَّ يَصِلَنِي وَإِذَا هُوَيْتُ فَمَا هَوَايَ بِزَائِلِ

(١) المنايا: ج المنية، وهي الموت.

(٢) الداء العياء: المرض العضال، أي الذي لا يشفى منه الإنسان.

(٣) مضروبة: مهانة.

(٤) ألفي: أجد.

(٥) المداني: القريب.

(٦) اسجحي: أجملني، أحسنني. الواصل: الذي يصل.

(٧) الهازل: المازح.

(٨) القلامة: أي قلامة الظفر، وهي ما يسقط منه. وهي كناية عن الخسة والحقارة.

(٩) الباذل: السخي، الكريم.

صَادَتْ فَوَادِي يَا بُثَيْنَ حِبَالِكُمْ
مَنْيْتِنِي فَلَوَيْتَ مَا مَنَيْتَنِي
وَتَشَاقَلْتُ لَمَّا رَأَتْ كَلْفِي بِهَا
وَأَطَعْتُ فِي عَوَازِلَا فَهَجَرْتَنِي
حَاوَلْتَنِي لِأَبْتُ حَبْلَ وَصَالِكُمْ
فَرَدَدْتُهِنَّ وَقَدْ سَعَيْنَ بِهِجْرَكُمْ
يَمْشِينَ حَوْلَ عَقِيلَةٍ مَنْسُوبَةٍ
يَغْضُضْنَ مِنْ غَيْظِ عَلَيَّ أَنْامِلًا
وَيَقْلُنَ: إِنَّكَ يَا بُثَيْنَ بِخِيلَةٍ
يَوْمَ الْحَجُونَ وَأَخْطَأْتُكَ حِبَائِلِي^(١)
وَجَعَلْتُ عَاجِلَ مَا وَعَدْتُ كَآجِلِ^(٢)
أَخْبَبَ إِلَيَّ بِذَاكَ مِنْ مُتَشَاقِلِ^(٣)
وَعَصَيْتُ فَيْكَ وَقَدْ جَهَذَنْ عَوَازِلِي^(٤)
مَنِي وَلَسْتُ وَإِنْ جَهَذَنْ بِفَاعِلِ^(٥)
لَمَّا سَعَيْنَ لَهُ بِأَفُوقَ نَاصِلِ^(٦)
كَالْبَدْرِ بَيْنَ دِمَالِجٍ وَخِلَاحِلِ
وَوَدِدْتُ لَوْ يَغْضُضْنَ صُمَّ جِنَادِلِ^(٧)
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَنِينَ بَاخِلِ^(٨)

* * *

أَفِي النَّاسِ أَمْثَالِي

أَلَمْ تَسْأَلِ الدَّارَ الْقَدِيمَةَ: هَلْ لَهَا
سَلْيَ الرُّكْبِ: هَلْ عُجْنَا لِمَغْنَاكِ مَرَّةً
بِأُمِّ حُسَيْنِ^(٩)، بَعْدَ عَهْدِكَ، مِنْ عَهْدِ؟
صُدُورَ الْمَطَايَا، وَهِيَ مَوْقِرَةٌ تُخْدِي^(١٠)

(١) الحجون: اسم جبل في مكة.

(٢) منيتني: وعدتني. لويت: أخلفت.

(٣) تشاقلت: تلكأت. الكلف: شدة الحب.

(٤) العواذل: ج العاذل، وهو اللائم.

(٥) أبْتُ: أقطع.

(٦) الأفوق: السهم الذي فيه انكسار أو ميل في أحد طرفيه. الناصل: الذي لا نصل له.

(٧) الأنامل: أطراف الأصابع. الجنادل: ج الجندل، وهو الصخرة، أو الحجر الكبير.

(٨) الضنين: البخيل.

(٩) أم حسين: كنية أخت بثينة، أو هي أم الجسير على اختلاف روايات الأغاني.

(١٠) الركب: الراكبون. عجنا صدور المطي: عطفناها. المغنى: المنزل. موقرة: محملة

وَهَلْ فَاضَتْ الْعَيْنُ الشَّرِيقُ بِمَائِهَا
وَأَنِّي لَأَسْتَجِرِي لَكَ الطَّيْرَ جَاهِدًا
وَأَنِّي لَأَسْتَبْكِي، إِذَا الرُّكْبُ غَرَّدُوا
فَهَلْ تَجْزِيئِي أُمُّ عَمْرٍو بِوِدِّهَا،
وَكُلُّ مُحِبٍّ لَمْ يَزِدْ فَوْقَ جُهْدِهِ
إِذَا مَا دَنَتْ زِدَتْ اشْتِيَاقًا، وَإِنْ نَأَتْ
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبًّا بَشَنَّةً لَمْ يُرِدْ
تَعْلُقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا
وَمَا وَجَدَتْ وَجْدِي بِهَا أُمُّ وَاحِدٍ،
وَلَا وَجَدَ الْعُذْرِيُّ عُرْوَةً^(٥)، إِذْ قَضَى
عَلَى أَنْ مَنْ قَدْ مَاتَ صَادَفَ رَاحَةً،
أَفِي النَّاسِ أَمْثَالِي أَحَبُّوا، فَحَالُهُمْ
وَهَلْ هَكَذَا يَلْقَى الْمُحِبُّونَ مِثْلَ مَا
يَغُورُ^(٦)، إِذَا غَارَتْ فُؤَادِي، وَإِنْ تَكُنْ
أَتَيْتُ بَنِي سَعْدِ صَحِيحًا مُسَلِّمًا،
لَأَجْلِكَ، حَتَّى أَخْضَلَ مِنْ دَمْعِهَا بُرْدِي
لِتَجْرِي يَتَمَنِّ مِنْ لِقَائِكَ أَوْ سَعْدِ
بِذِكْرِكَ، أَنْ يَحْيَا بِكَ الرُّكْبُ إِذْ يَخْدِي^(١)
فَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى بِهَا فَوْقَ مَا أَبْدَى
وَقَدْ زِدْتَهَا فِي الْحُبِّ مَنِّي عَلَى الْجُهْدِ^(٢)
جَزَعْتُ لِنَآي الدَّارِ مِنْهَا وَلِلْبُعْدِ
سِوَاهَا، وَحُبُّ الْقَلْبِ بَشَنَّةً لَا يُجْدِي
وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَطَافًا وَفِي الْمَهْدِ^(٣)
وَلَا وَجَدَ النَّهْدِيُّ^(٤) وَجْدِي عَلَى هَنْدٍ
كَوَجْدِي، وَلَا مَنْ كَانَ قَبْلِي وَلَا بَعْدِي
وَمَا لِفُؤَادِي مِنْ رَوَاحٍ وَلَا رُشْدٍ
كَحَالِي، أَمْ أَحَبَّتُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَخْدِي؟
لَقِيتُ بِهَا، أَمْ لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ وَجْدِي
بِنَجْدٍ، يَهُمُّ مَنِّي الْفُؤَادُ إِلَى نَجْدٍ
وَكَانَ سَقَامَ الْقَلْبِ حُبُّ بَنِي سَعْدِ

* * *

(١) يخدي: يُسرِع.

(٢) الجهد: الطاقة.

(٣) النطاف: جمع نطفة، وهي المني (ماء التناسل).

(٤) النهدي: عبدالله بن عجلان النهدي شاعر جاهلي، وأحد المتيمين من الشعراء الذين قتلهم الحب، وكان يشبب بصاحبته هند.

(٥) عروة: هو عروة بن جزام العذري أحد عشاق العرب المشهورين، كان في زمن معاوية، أحب ابنة عمه عفراء بنت مالك، وتغزل بها في شعره ولم يزوجه عمه فمات مسلولاً.

(٦) يغور: يأتي الغور من تهامة.

قيس لبنى

هو قيس بن ذريح بن سثة، وُلد في بيت عزيز بين قومه، غير أنَّ المصادر لم تذكر تاريخ ولادته، ولكنها تشير إلى أنه كان رضيع الحسين بن علي الذي وُلد سنة ٤هـ أو ٦هـ.

أحبَّ لبنى بنت الحباب الكعبية، وهي من خزاعة. وسبب ولوعه بها أنه مرَّ لبعض حاجته بخيام بني كعب، طالبًا الماء، فسقته امرأة مديدة القامة حلوة الكلام، فعلق بها. ولما أعلم والده بالأمر أبى عليه قائلاً: يا بني عليك بإحدى بنات عمك، فهي أحقَّ بك. ثم عاد وشكا أمره إلى أمه، فلم يجد عندها ما يحب. وبعد إصرار زفت لبنى إليه وعاشا حياة سعيدة هنيئة، ولكن لم ينجبا. فطلب منه والده أن يطلق لبنى، ويتزوج من سواها، علَّها تنجب له ولدًا. فرفض بادية الأمر، ولما أصرّوا عليه طلقها. ولما بانت عنه ازداد ولهه بها، ولحقه مثل الجنون.

وحاول أهله أن يزوجه بفتاة أخرى، فتزوج بفتاة، ولكنه لم يقربها، بل ظلَّ يتردد إلى حيِّ مطلّقتها، فشكاها أبوها إلى معاوية، فأهدر دمه إن ألم بها. ولما بلغه الأمر قال:

فإن يحجبوها أو يحلّ دون وصلها مقالة واشٍ أو وعيدُ أميرٍ
فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البكا ولن يذهبوا ما قد أجنّ ضميري

واختلفت الروايات في نهاية حبهما اختلافًا كبيرًا، فذكر أكثرهم أنهما

ماتا مفترقين؛ وذكرت جماعة أنه مات قبلها، ولما بلغها الخبر ماتت عليه أسفاً. وقالت جماعة أخرى أنها ماتت قبله، ثم مات بعدها أسفاً عليها وذلك بحدود ٦٨ هـ / ٦٨٨ م.

* * *

مصائب الدهر

بانت لبيتي فهاج القلب من بانا وكان ما وعدت مطلاً وليانا^(١)
وأخلفتك منى قد كنت تأملها فأصبح القلب بعد البين حيرانا
الله يذري وما يذري به أحد ماذا أجمع من ذكراك أحياناً^(٢)
يا أكمل الناس من قرن إلى قدم وأحسن الناس ذا ثوب وعريانا^(٣)
لا بارك الله فيمن كان يحسبكم إلا على العهد حتى كان ما كانا
قد زارني طيفكم ليلاً فأرقني فبت للشوق أذري الدمع تهتانا^(٤)
إن تُصرمي الحبل أو تُمسي مفارقةً فالدهر يحدث للإنسان ألواناً^(٥)
وما أرى مثلكم في الناس من بشر فقد رأيت به حياً ونسوانا

* * *

لا أقر الله عينك

أيا كبداً أطارث صدوعاً نوافذاً ويا حسرتاً ماذا تغلغل في القلب^(٦)

(١) بانت: فارقت، هجرت. اللتان: المطل والتسويق.

(٢) أجمع: أخفي في الصدر.

(٣) القرن: أعلى الرأس.

(٤) أرقني: أقلقني. الطيف: الخيال. أذري الدمع: أسكبه. التهتان: الانصباب.

(٥) تصرمي الحبل: تقطعي الصلة بي.

(٦) الصدوع: الشقوق.

فَأَقْسَمُ مَا عُمَشُ الْعَيُونِ شَوَارِفُ رَوَائِمُ بُوَ حَائِمَاتٍ عَلَى سَقَبِ^(١)
تَشْمَمْنُهُ لَوْ يَسْتَطِيعُنَ أَرْتَشَفْنُهُ إِذَا سَفْنُهُ يَزْدَدُنْ نَكْبًا عَلَى نَكْبِ^(٢)
رَثِمَنْ فَمَا تَنْحَاشُ مِنْهُنَّ شَارِفُ وَحَالْفَنْ حَبَسًا فِي الْمُحُولِ وَفِي الْجَذِبِ^(٣)
بَأَوْجَدَ مَتِي يَوْمَ وَلَّتْ حُمُولُهَا وَقَدْ طَلَعَتْ أُولَى الرِّكَابِ مِنَ النَّقَبِ^(٤)
وَكُلُّ مُلِمَّاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا سَوَى فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ هَيْئَةَ الْخَطْبِ^(٥)
إِذَا افْتَلَتَتْ مِنْكَ النُّوَى ذَا مَوْدَةٍ حَبِيبًا بِتَصْدَاعٍ مِنَ الْبَيْنِ ذِي شَعْبِ^(٦)
أَذَاقَتْكَ مَرَّ الْعَيْشِ أَوْ مَتَّ حَسْرَةً كَمَا مَاتَ مَسْقِيُّ الضِّيَاحِ عَلَى أَلْبِ^(٧)
وَقَلْتُ لِقَلْبِي حِينَ لَجَّ بِي الْهَوَى وَكَلَفْنِي مَا لَا يَطِيقُ مِنَ الْحَبِّ^(٨)
أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي قَادَهُ الْهَوَى أَفْقُ لَا أَقْرَ اللَّهُ عَيْنَكَ مِنْ قَلْبِ

* * *

أَلَا حَيِّ لُبْنَى

أَلَا حَيِّ لُبْنَى الْيَوْمَ إِنْ كُنْتَ غَادِيَا وَأَلِمْنِ بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ لَا تَلَاقِيَا^(٩)

(١) الشوارف: ج الشارفة، وهي الناقة المستة. الروائم: ج الرائمة، وهي التي تعطف على الأولاد. البو: جلد ولد الناقة الميت، يحشى بالتبن وغيره، ويقرب من أمه لتدر. السقب: ولد الناقة.

(٢) سفنه: شممته. النكب: المصيبة.

(٣) رثمن: عطفن. تنحاش: تبتعد. المحول: الجذب.

(٤) بأوجد: بأحزن. النقب: الطريق.

(٥) الملمات: ج الملمة، وهي المصيبة. الخطب: المصيبة.

(٦) افتلتت: أخذت بسرعة. النوى: الفراق. التصداع والشعب: التفرق.

(٧) الضياع: اللبن الخائر، يصب فيه الماء ثم يقلب. الألب: العطش، أو السم، أو شدة الحر.

(٨) لج: ألح.

(٩) الغادي: الذهاب في الغداة. ألم بها: زرها.

وأهدير لها منك النصيحة إنها
وقل: إني والراقصات إلى متى
أصونك عن بعض الأمور مضنة
تساقط نفسي حين ألقاك أنفسا
فإن أخي أو أهيك فليست بزائل
أقول إذا نفسي من الوجد أضعدت
وبين الحشا والنحر متي حرارة
ألا ليت لبتى لم تكن لي حلة
سلي الناس هل خبرت سيرك منهم
وأخرج من بين البيوت لعلي
وإني لأستغشي وما بي نغسة
يقول لي الواشون لما تظاهروا
لعمري لقبل اليوم حملت ما ترى
خليئي ما لي قد بليت ولا أرى
ألا يا غراب البين ما لك كلما

قليل ولا تخش الوشاة الأذانيا^(١)
بأجل جمع ينتظرون المناديا^(٢)
وأخشي عليك الكاشحين الأعاديا^(٣)
يردن فما يصدرون إلا صواديا^(٤)
لكم حافظا ما بل ريق لسانيا
بها زفرة تغتاذني هي ما هيا
ولوعة وجد ترك القلب ساهيا^(٥)
ولم ترني لبتى ولم أذر ما هيا^(٦)
أخا ثقة أو ظاهر الغش باديا
أحدث عنك النفس في السر خاليا
لعل خيالا منك يلقي خاليا^(٧)
عليك وأضحى الحبل للين واهيا^(٨)
وأندزت من لبتى الذي كنت لاقيا
لبتني على الهجران إلا كما هيا
ذكرت لبتني طرت لي عن شماليا^(٩)

- (١) الوشاة: ج الواشي، وهو النمام المفسد. الأذانيا: الأقربين.
(٢) الراقصات: أي الإبل التي تسير بسرعة وكأنها ترقص. أجل جمع: اسم موضع.
(٣) المضنة: البخل. الكاشحون: ج الكاشح، وهو الذي يضر البغض والعداوة.
(٤) تساقط: أي تتساقط. يردن: يقصدن الماء. يصدرون: يرجعن عن الماء. الصوادي: ج الصادية وهي العطشى.
(٥) النحر: أعلى الصدر. الساهي: المنذهل.
(٦) الحلة: الصديقة.
(٧) أستغشي: أطلب النوم.
(٨) الواشون: ج الواشي، وهو النمام المفسد. الين: الفراق. الواهي: الضعيف.
(٩) في هذا البيت إشارة إلى تشاؤم العرب بالطير الذي يطير عن شمال المرء.

أعندك علمُ الغَيْبِ أم لَسْتُ مُخْبِرِي
فلا حَمَلْتُ رِجْلَكَ عِشًّا لَبِئْضَةٍ
أُحِبُّ من الأَسْمَاءِ ما وافقَ اسْمَها
وما ذُكِرَتْ عِنْدِي لها من سَمِيَّةٍ
جَزِغْتُ عليها لو أرى لي مجزَعًا
حَيَاتِكَ لا تُغَلِّبُ عليها فَإِنَّهُ
أَشَوْقًا وَلَمَّا تَمَضِ لي غَيْرُ لَيْلَةٍ
تَمَرَّ اللَّيَالِي والشُّهُورُ ولا أرى
فَقْدَ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَما
فَمَا عَنِ نَوَالٍ مِنْ لُبَيْتِي زِيَارَتِي
وَلَكِنِّهَا صَدَّتْ وَحُمِلْتُ مِنْ هَوَى

عَنِ الْحَيِّ إِلَّا بِالَّذِي قَدْ بَدَأَ لِيَا
وَلَا زَالَ عَظَمٌ مِنْ جَنَاحِكَ وَاهِيَا
وَأَشْبَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا^(١)
مِنَ النَّاسِ إِلَّا بَلَّ دَمْعِي رَدَائِيَا
وَأَفْنَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَوْ كَانَ فَانِيَا^(٢)
كَفَى بِالَّذِي تَلْقَى لِنَفْسِكَ نَاهِيَا
رُؤَيْدَ الْهَوَى حَتَّى يَغُبَّ لِيَالِيَا^(٣)
وَلَوْ عِي بِهَا يَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا^(٤)
يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ إِلَّا تَلَاقِيَا^(٥)
وَلَا قِلَّةُ الْإِلْمَامِ أَنْ كُنْتُ قَالِيَا^(٦)
لَهَا مَا يُوَوِّدُ الشَّامَخَاتِ الرُّوَاسِيَا^(٧)

* * *

-
- (١) المداني: القريب.
(٢) جزعت: خفت. المجزع: الجزع. أفنيت: أهلك.
(٣) يغب: يمضي.
(٤) التمادي: الدوام والاستمرار.
(٥) الشَّتيتين: المتفرقين، المفرقين.
(٦) النوال: العطاء. قلة الإلمام: قلة الزيارة. القالي: الكاره.
(٧) صدت: منعت. يؤود: يرهق. الشامخات: الجبال الشامخة. الرواسي: العظيمة.

مجنون ليلي

هو قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري، وُلد في زمن مروان بن الحكم الذي توفي في حدود ٦٥هـ. أحبّ ليلي بنت سعد من بني ربيعة وأحبّته، وهما بعد صغيران يرعيان المواشي على سفح جبل «التوباد»، ولما كبرا، وكثر تردّد قيس إلى ديارها، حجبها أبوها، خاصة بعد أن صار عشقه حديث الناس لما أنشد فيها من أشعار.

أثار هذا التصرّف غضب قيس، وأصرّ على حبّه لها، فلامه أهله، وحاولوا منعه، فلم يمتنع، بل ظلّ يغشى ديارها، فشكاه أبوها إلى السلطان الذي أهدر دمه. ورغم ذلك لم يرتدع ممّا أجبر أهله على الرحيل. ثم أكرهت ليلي على الزواج من ورد بن محمد. ولما بلغ قيسًا الخبر هام على وجهه، وتوحّش منشداً الأشعار، وكان يُرى تارةً في الشام وطورًا في نجد، وأخرى في الحجاز، إلى أن وجد أخيرًا ميتًا في وادٍ كثير الأحجار، فحملوه ودفنوه بعد أن غسلوه وكفّنوه، وكان ذلك في حدود ٦٨هـ/٦٨٨م.

حمامات بطوق

أجْدُكَ يَا حَمَامَاتِ بِطُوقٍ فَقَدْ هَيَّجَتْ مَشْغُوفًا حَزِينًا^(١)
أَغْرَكَ يَا حَمَامَاتِ بِطُوقٍ بَأْنِي لَا أَنَامُ وَتَهْجَعِينَا^(٢)
وَأْنِي قَدْ بَرَّانِي الْحُبُّ حَتَّى ضَنَنْتُ وَمَا أَرَاكَ تَغْيِيرِنَا^(٣)
أَرَادَ اللَّهُ مَخْلَكَ فِي السَّلَامِ إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشْوَقِينَا^(٤)
وَلَسْتُ وَإِنْ حَنَنْتُ أَشَدَّ وَجْدًا وَلَكِنِّي أُسِرُّ وَتُغْلِبُنِينَا
وَبِي مِثْلُ الَّذِي بِكَ غَيْرَ أَنِّي أَحَلُّ عَنْ الْعَقَالِ وَتَغْقِلِينَا^(٥)
أَمَّا وَاللَّهِ غَيْرَ قَلَى وَبِغْضٍ أُسِرُّ وَلَمْ أَزَلْ جَزَعًا حَزِينًا^(٦)
لَقَدْ جَعَلْتُ دَوَاوِينَ الْغَوَانِي سَوَى دِيْوَانٍ لَيْلَى يَمْحِينَا
فَقَدْ مَا كُنْتُ أَزْجَى النَّاسِ عِنْدِي وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى مَا تَطْلِبِينَا
أَلَا لَا تَنْسَيْنِ رَوَعَاتِ قَلْبِي وَعِضْيَانِي عَلَيْكَ الْعَاذِلِينَا^(٧)

* * *

المؤنسة

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّنِينَ الْخَوَالِيَا وَأَيَّامَ لَا نَخْشَى عَلَى اللَّهِ نَاهِيَا^(٨)
وَيَوْمَ كَظَلَّ الرِّمَحُ قَصْرَتْ ظِلُّهُ بَلَيْلَى فَلَهَّانِي وَمَا كُنْتُ لَاهِيَا

(١) الجد: الحظ. هيجت: أثرت. المشغوف: المولع والمحب.

(٢) تهجعين: تنامين.

(٣) براني: أتلفني، أهزلني تغيرين: تتغيرين.

(٤) المحل: الجذب. السلافي: عظم صغير مجوف.

(٥) العقال: الرباط.

(٦) القلى: البغض. الجزع: الخائف.

(٧) العصيان: المعاندة. العاذلين: اللائمين.

(٨) الخوالي: الماضية. الناهي: المانع.

بِثَمْدَيْنِ لَاحِثُ نَارٍ لَيْلَى وَصُحْبَتِي
فَقَالَ بَصِيرُ الْقَوْمِ أَلَمَحْتُ كَوْكَبًا
فَقَالَ لَهُ: بَلْ نَارُ لَيْلَى تَوَقَّدَتْ
فَلَيْتَ رِكَابَ الْقَوْمِ لَمْ تَقْطَعْ الْغُضَى
فِيَا لَيْلُ كَمْ مِنْ حَاجَةٍ لِي مَهْمَةٌ
خَلِيلِيَّ إِنْ لَا تَبْكِيَانِي أَلْتَمِسُ
فَمَا أَشْرَفُ الْأَيْفَاعِ إِلَّا صَبَابَةٌ
وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا
لَحَى اللَّهُ أَقْوَامًا يَقُولُونَ إِنَّا
إِذَا مَا جَلَسْنَا مَجْلِسًا نَسْتَلِذُّهُ
خَلِيلِيَّ لَا وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي
قَضَاهَا لَغِيرِي وَابْتَلَانِي بِحَبِّهَا
وَجَبَّرْتُمَانِي أَنْ تَيْمَأَّ مَنْزِلُ
فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ
فَلَوْ أَنَّ وَاشٍ بِالْإِمَامَةِ دَارُهُ
بَذَاتِ الْغُضَى تُزْجِي الْمَطْيَّ النَّوَاجِيَا^(١)
بَدَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ قَرْدًا يَمَانِيَا
بَعْلِيَا تَسَامَى ضَوْؤُهَا فَبَدَا لِيَا
وَلَيْتَ الْغُضَى مَاشَى الرِّكَابَ لِيَالِيَا^(٢)
إِذَا جِئْتُكُمْ بِاللَّيْلِ لَمْ أَدْرِ مَا هِيََا
خَلِيلًا إِذَا أَنْزَفْتُ دَمْعِي بِكَيِّ لِيَا
وَلَا أَنْشُدُ الْأَشْعَارَ إِلَّا تَدَاوِيَا^(٣)
يَظْنَانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَجَدْنَا طَوَالَ الدَّهْرِ لِلْحَبِّ شَافِيَا^(٤)
تَوَاشَوْا بِنَا حَتَّى أَمَلَّ مَكَانِيَا^(٥)
قَضَى اللَّهُ فِي لَيْلَى وَلَا مَا قَضَى لِيَا
فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا^(٦)
لِلْيَلَى إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَاسِيَا^(٧)
فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بَلِيلَى الْمَرَامِيَا^(٨)
وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا

(١) ثمدين: اسم موضع. ذات الغضى: اسم موضع. تزجي: تسوق. النواجي: الكريمة.

(٢) الغضى: نوع من الشجر، وهي كناية عن بلاد نجد.

(٣) الأيفاع: ج البفع، وهو التل المشرف. التداوي: طلب الشفاء.

(٤) لحي: لعن.

(٥) تواشوا بنا: ذكرونا بالسوء.

(٦) قضاها لغيري: جعلها لغيري.

(٧) ألقى الصيف المراسي: حل الصيف.

(٨) النوى: البعاد.

وماذا لهم لا أحسن الله حالهم
 فيا ربّ سوّ الحبّ بيني وبينها
 فإن تمنعوا ليلي وتّخّموا بلادها
 أحبّ من الأسماء ما وافق اسمها
 ألا أيّها الواشي بليلى ألا ترى
 لئن ظعنّ الأحبابُ يا أمّ مالك
 فيا ربّ إذ صيّرت ليلي هي المني
 وإلا فبغضها إليّ وأهلها
 على مثل ليلي يقتل المرء نفسه
 خليلي إن ضنّوا بليلى فقربا

من النحظّ في تصرّيم ليلي حباليا^(١)
 يكون كفافاً لا عليّ ولا ليا
 عليّ فلن تّخّموا عليّ القوافيا
 أو أشبهه أو كان منه مدانيا
 إلى من تشيها أو بمن جئت واشيا
 فما ظعن الحبّ الذي في فؤاديا^(٢)
 فزني بعينيها كما زنتها ليا
 فإني بليلى قد لقيت الدواهايا^(٣)
 وإن كنت من ليلي على اليأس طاويا^(٤)
 لي النعش والأكفان واستغفرا ليا^(٥)

* * *

(١) التصريم: قطع الصلة.

(٢) ظعن: ارتحل.

(٣) الدواهي: ج الداهية، وهي المصيبة.

(٤) طوى الشيء: أخفاه.

(٥) ضنوا: بخلوا.

الصمة بن عبدالله بن الطفيل

هو الصمة بن عبدالله بن الطفيل القشيري (١٠٠ - نحو ٨٩٥ هـ / نحو ٧١٤ م) من شعراء العصر الأموي، شاعر غزل، ومن العشاق المتيّمين. كان يسكن بادية العراق، فانتقل إلى الشام. وخرج غازيًا يريد بلاد الديلم، فمات في طبرستان. اشتهر بقصيدته الغزلية الوجدانية التالية.

* * *

حنين

حَنَنْتُ إِلَى رِيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ	مَزَارَكَ مِنْ رِيَا وَشَعْبَاكَمَا مَعَا
فَمَا حَسَنْ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا	وَتَجْزَعُ إِنْ دَاعَى الصَّبَابَةُ أَسْمَعًا ^(١)
قَفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى	وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطِيبَ الرَّبَى	وَمَا أَحْسَنَ الْمَصْطَافَ وَالْمُتَرَبَّعَا
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ	عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَذْمَعَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبَشَرَ أَعْرَضَ دُونَنَا	وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَحْنَنْ نَزْعًا ^(٢)
بَكَتْ عَيْنِي الْيَسْرِي فَلَمَّا زَجَرْتُهَا	عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَا مَعَا ^(٣)

(١) الصبابة: الحب.

(٢) البشر: اسم جبل في الجزيرة الشامية.

(٣) زجرتها: منعها. الحلم: ضد الجهل.

تَلَقْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُني وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا^(١)
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْجَمَى ثُمَّ أَنَّنِي عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا^(٢)

* * *

(١) الليت: صفحة العنق. الأخدع: عرق في العنق.

(٢) يقول: أتذكر أيام وصلنا، فأنني على نفسي خائفًا من أن أموت من شدة التأثر.

جرير

هو أبو حرزة جرير بن عطية الملقب بالخطفي. وُلد باليمامة سنة ٣٣هـ/٦٥٣م من أب وضعيع بخيل، خامل الذكر، لا شأن له في قبيلته. وضعت أمه في شهرها السابع. ولما شبّ راح يرعى الغنم لأبيه، وقد قال الشعر وهو دون الخامسة عشرة من عمره. اشتهر بالهجاء، وراح يرمي به الخصوم، فذاع صيته بين الناس، ورددت اسمه الركبان. نشبت بينه وبين الفرزدق حرب هجائية دامت خمسين سنة. فكان الشاعر منهما ينظم القصيدة، ويبعث بها إلى خصمه، فينقض الخصم ما جاء فيها بقصيدة ينظمها على الوزن نفسه والروي والقافية نفسهما. كما تهاجى مع الأخطل؛ وسميت هذه القصائد «بالنقائض».

تزوج عدّة نساء، وأنجب له عشرة أولاد، كان يجلس إليهم يبصّرهم بالشعر حتى غدوا جميعًا يقرضون الشعر.

اتصل عبر حياته بعدد من الخلفاء، أولهم يزيد بن معاوية، واتّخذه الحجاج بن يوسف شاعره الخاص. كما اتصل بعبد الملك بن مروان وبأخويه سليمان ويزيد. ثم اتّصل بعمر بن عبد العزيز. توفي نحو ١١٤هـ/٧٣٣م.

* * *

رثاء امرأته

لَوْلَا الْحَيَاءُ، لَعَادَنِي أَسْتِعْبَارُ، وَلَزَزْتُ بَيْتَكَ، وَالْحَبِيبُ يُزَارُ^(١)
وَلَقَدْ نَظَرْتُ، وَمَا تَمَتُّعُ نَظْرَةَ فِي اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الْمِحْفَارُ^(٢)
وَلَهْتَ قَلْبِي، إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ، وَذَوُّ التَّمَائِمِ مِنْ بَيْنِكَ صِغَارُ^(٣)
أَرعى النُّجُومَ، وَقَدْ مَضَتْ غُورِيَّةٌ، عُصَبُ النُّجُومِ كَأَنَّهُنَّ صُورُ^(٤)
نِعَمَ الْقَرِينِ، وَكُنْتُ عِلْقَ مَضْنَةٍ وَأَرَى بِنَعْفٍ بُلْيَةَ الْأَخْجَارِ^(٥)
عَمَرْتُ مُكْرَمَةَ الْمَسَاكِ وَفَارَقْتُ مَا مَسَّهَا صَلْفٌ وَلَا إِقْتَارُ^(٦)
فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ، بِرُقَّةٍ ضَاكِ هَزِمَ أَجَشُّ، وَدِيمَةٌ مِذْرَارُ^(٧)
إِذَا اسْتَحَارَ بِلَدَةٍ فَكَأَنَّمَا بِجَوَائِهَا الْأَنْهَارُ^(٨)
مُتْرَاكِمْ زَجَلٍ يُضِيءُ وَمِیْضُهُ كَأَلْبَلَقٍ تَحْتَ بَطُونِهَا الْأَمْهَارُ^(٩)
كَانَتْ مُكْرَمَةَ الْعَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ يَخْشَى غَوَائِلَ أُمِّ حَزْرَةَ جَارُ^(١٠)

(١) استعمار: بكاء. بيتك: قبرك.

(٢) المحفار: آلة الحفر.

(٣) ولهة: حزينة أشد الحزن. التمايم: ج تيممة وهي خزرزة أو عودنة تُعلّق في عنق الولد دفعا للأخطار.

(٤) الغورية: التي تأخذ الغور للغروب والسقوط. العصب: الجماعات: الصوار: قطع بقر الوحش.

(٥) العلق: النفس من كل شيء. المضنة: ما يضمن به. النعف: أسفل الجبل وأعلى الوادي. بلية: اسم موضع.

(٦) الصلف: الكبرياء. الاقتار: العسر.

(٧) الصدى: كان العرب يعتقدون بأنه يخرج من رأس القليل طير يسمونه «صدى» يظل عطشان يصيح «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره. الهزم: السحاب الراعد. الأجش: الغليظ الصوت من الرعد. برقة ضاحك: اسم موضع.

(٨) الجواء: ج جو وهو الناحية والجهة.

(٩) زجل: ذو جلبة. البلق: ج أبلق وهو ما كان في لونه سواد وبياض.

(١٠) الغوائل: المصائب. أم حزررة: كنية امرأته.

وَلَقَدْ أَرَاكَ تُسَبِّحُ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ،
وَالرَّيْحُ طَيِّبَةٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا
وَإِذَا سَرَيْتُ، رَأَيْتُ نَارَكَ نَوَّرَتْ
صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيِّرُوا
وَعَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ رَبِّكَ كُلَّمَا
يَا نَظْرَةً لَكَ، يَوْمَ هَاجَتْ عَبْرَةٌ
تُخَيِّي الرُّوَامِسُ رَبْعَهَا، فَتُجِدُّهُ
وَكَأَنَّ مَنْزِلَةً لَهَا، بِحُلَاكِجٍ
لَا تُكْثِرَنَّ، إِذَا جَعَلْتَ تَلُومُنِي،
كَانَ الْخَلِيطُ هُمُ الْخَلِيطُ، فَأَصْبَحُوا
لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا

وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةٌ وَوَقَارُ
وَالْعِرْضُ لَا دَنَسٌ وَلَا خَوَارُ^(١)
وَجْهَهَا أَغْرُ، يَزِينُهُ الْإِسْفَارُ
وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ، وَالْأَبْرَارُ
نَصِبَ الْحَجِيجُ مُلَبِّدِينَ، وَغَارُوا^(٢)
مِنْ أُمِّ حَزْرَةَ، بِالنُّمَيْرَةِ دَارُ
بَعْدَ الْبَلَى، وَتُمِيتُهُ الْأَمْطَارُ^(٣)
وَخِي الزُّبُورِ تُجِدُّهُ الْأَخْبَارُ^(٤)
لَا يَذْهَبَنَّ بِحِلْمِكَ الْإِكْثَارُ
مُتَبَدِّلِينَ، وَبِالدُّيَارِ دِيَارُ^(٥)
لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ

* * *

(١) الخوار: الضعيف.

(٢) نصب: تعب. الحجيج: ج حاج. ملبدين: مقيمين. غار الرجل: نام.

(٣) الروامس: الرياح.

(٤) الزبور: المزامير. تجده: تكتبه فتحكمه.

(٥) الخليط: القوم المختلطون بالمجاورة. المعنى: ذهب الذين أحبهم.

الباب الخامس:

من الشعر الوجداني
في العصر العباسي

الشریف الرضی

هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى. وُلد في بغداد سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م. أصله شریف يرتقي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. إليه انتهت نقابة الأشراف في حياة والده.

كان يطمح إلى الخلافة، وكان أبو إسحق الصابي، الكاتب المشهور يطمعه فيها. تولّى إمارة الحجّ، وشهد مواسم العيد، وفيها النساء الوافدات من جميع البلدان، فحرّك هذا المشهد أوتار قلبه، فنظم قصائد شهيرة في الغزل العفيف عُرفت بالحجازيات.

توفي في بغداد سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٦.

* * *

قال يرثي والدته فاطمة بنت الناصر:

العمر روحة راكب

أبكىكَ لَوْ نَقَعَ الْغَلِيلَ بُكَائِي وَأَقُولُ لَوْ ذَهَبَ الْمَقَالُ بِدَائِي^(١)
وَأَعُوذُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَعَزِّيَا لَوْ كَانَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَزَائِي
طَوْرًا تَكَاثُرَنِي الدَّمُوعُ، وَتَارَةً آوِي إِلَى أَكْرُومَتِي وَحَيَائِي

(١) نَقَعَ الظَّمَا: أَرَوَاه. الْغَلِيلُ: حَرَارَةُ الْحُزْنِ.

كم عَبرة مَوْهَتْهَا بِأَنَامِلِي،
 أَبْدِي التَّجَلَّدَ لِلْعَدُوِّ، وَلَوْ دَرَى
 مَا كُنْتُ أَذْخَرُ فِي فِدَاكِ غَرِيبَةً،
 لَوْ كَانَ يُدْفَعُ ذَا الْحِمَامُ بِقُوَّةِ
 بِمُدَرَّبِينَ عَلَى الْقِرَاعِ تَفِيَّأُوا
 قَوْمٌ إِذَا مَرَّهُوا بِأَغْبَابِ السُّرَى
 يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الدَّرُوعِ كَأَنَّهُمْ
 فَارَقْتُ فِيكَ تَمَاسُكِي وَتَجَمَّلِي
 وَصَنَعْتُ مَا ثَلَمَ الرِّقَارَ صَنِيعُهُ
 كَمْ زَفَرَةٌ ضَعُفَتْ فَصَارَتْ أَنَّةً،
 لَهْفَانٌ أَنْزَوْا فِي حَبَائِلِ كُرْبَةٍ
 وَجَرَى الزَّمَانُ عَلَى عَوَائِدِ كَيْدِهِ
 قَدْ كُنْتُ أَمَلُ أَنْ أَكُونَ لَكَ الْفِدَا
 وَتَفَرَّقَ الْبُعْدَاءُ بَعْدَ مَوَدَّةِ
 وَخَلَائِقُ الدُّنْيَا خَلَائِقُ مُوَمِّسٍ
 طَوْرًا تُبَادِلُكَ الصِّفَاءُ، وَتَارَةً
 وَتَدَاوُلُ الْأَيَّامُ يُبْلِيْنَا كَمَا
 وَكَأَنَّ طَوْلَ الْعُمَرِ رُوحَةً رَاكِبٍ
 لَوْ كَانَ مِثْلَكَ كُلُّ أُمَّ بَرَّةِ

(١) مرهوا: ابيضت حماليق أعينهم. الأغباب: الغوامض من الأرض. الإثم: الكحل
 استعاره للظلام

(٢) البرحاء: الشدة والأذى.

(٣) الرشاء: حبل البئر. تطاوح: ترامي. الأرجاء، الواحد رجا: حافة البئر، والناحية.

كيف السَّلَوُ، وكل موقع لحظة
 شهدَ الخلائقُ أنَّها لنَجِيبَةٌ
 في كُلِّ مُظْلِمٍ أَرْمَةٍ أَوْ ضِيقَةٍ
 مَعْرُوفِكَ السَّامِي أَنِيسُكَ، كلما
 وَضِيَاءٌ مَا قَدَّمْتِهِ مِنْ صَالِحٍ
 إِنَّ الَّذِي أَرْضَاهُ فِعْلُكَ لَا يَزُلُ
 صَلَّى عَلَيْكَ، وَمَا فَقَدْتَ صَلَاتَهُ
 لَوْ كَانَ يُبْلَغُكَ الصَّفِيحُ رَسَائِلِي
 لَسَمِعْتَ طَوْلَ تَأْوِهِي وَتَفَجَّعِي
 كَانَ ارْتِكَاضِي فِي حَشَاكَ مُسَبِّيًا
 أَثَرُ لَفْضِيكَ خَالِدٌ بِإِزَائِي
 بِدَلِيلٍ مَا وَلَدَتْ مِنَ النُّجَبَاءِ
 يَبْدُو لَهَا أَثَرُ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ
 وَرَدَ الظَّلَامُ بِوَحْشَةِ الْغَبْرَاءِ
 لَكَ فِي الدَّجَى بَدَلٌ مِنَ الْاضْوَاءِ
 تَرْضِيكَ رَحْمَتُهُ صَبَاحَ مَسَاءِ
 قَبْلَ الرَّدَى، وَجَزَاكَ أَيُّ جَزَاءِ
 أَوْ كَانَ يُسْمَعُكَ التَّرَابُ نِدَائِي
 وَعَلِمْتَ حُسْنَ رِعَايَتِي وَوَفَائِي
 رَكُضَ الْغَلِيلِ عَلَيْكَ فِي أَحْشَائِي

* * *

العباس بن الأحنف

هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي نسبة إلى «اليمامة» وهي بلدة في الحجاز، لعله وُلد فيها. وقيل: إنه من عرب خراسان، ومنشأه بغداد.

شاعر اقتصر شعره على الغزل الرقيق. اتصل بالمهدي والرشيد اتصال ألفه لا اتصال غاية وتكسب؛ نال بفضل شعره الرقيق جوائز سنّية. أحبّ جارية استعار لها اسم «فوز» خشية من أن يتعرّض إلى ما لا تحمد عقباه. وقد ذكر في ديوانه عدة أسماء منها: ظلوم، وذلفاء، وسحر، وضياء، ونسرین، ونرجس... وهذا ما كان يحمل «فوزًا» على أن تحبس رسولها وكتبها عنه، لتثير حزنه وغضبه.

توفي في بغداد سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م.

لوعة قلب

ألا أسعديني بالدموع السواكب	على الوجد من صرم الحبيب المغاضب
أراني أبيت الليل صاحب عبّرة	مشوقًا أراعي منجّدات الكواكب
رأت رغبةً مني فأبذت زهّادة	ألا ربّ مخرومٍ من الناس راغب
فسُحّي دموعًا هاملات كأنها	لها أمرٌ بالفيض من تحت حاجب

أريدُ لأدْعُو غَيْرَهَا فَيَجْرِنِي
يَظَلُّ لِسَانِي يَشْتَكِي الشَّوْقَ وَالْهَوَى
كَأَنَّ بَقْلِي كُلَّمَا هَاجَ شَوْقُهُ
وَلَوْ كَانَ قَلْبِي يَسْتَطِيعُ تَكَلُّمًا
كَتَبْتُ فَأَكْثَرْتُ الْكِتَابَ إِلَيْكُمْ
أَمَّا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي قَتْلِ عَاشِقٍ
فَأُقْسِمُ لَوْ أَبْصَرْتَنِي مُتَضَرِّعًا
وَحَوْلِي مِنَ الْعَوَادِ بِأَكْ وَمُشْفِقٌ
لَأَبْكَاكِ مِنِّي مَا تَرَيْنَ تَوَجُّعًا
لَقَدْ قَالَ دَاعِي الْحُبِّ هَلْ مِنْ مُجَابِبٍ
فَمَا إِنْ لَهُ إِلَّا إِلَيَّ مَذَاهِبٌ

لِسَانِي إِلَيْهَا بِاسْمِهَا كَالْمُغَالِبِ
وَقَلْبِي كَذِي حَبْسٍ لِقَتْلِ مُرَاقِبِ
حَرَازَاتِ أَقْبَاسٍ تَلُوحُ لِزَاهِبِ
لَحَدَّثَكُمْ عَنِّي بِكُلِّ الْعَجَائِبِ
عَلَى رَغْبَةٍ حَتَّى لَقَدْ مَلَّ كَاتِبِي
صَرِيعَ نَحِيلِ الْجِسْمِ كَالْخَيْطِ ذَائِبِ
أَقْلَبُ طَرْفِي نَاطِرًا كُلَّ جَانِبِ
أُبَاعِدُ أَهْلِي كُلَّهُمْ وَأَقَارِبِي
كَأَنَّكَ بِي يَا فَوْزُ قَدْ قَامَ نَادِي
فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى قَبْلَ كُلِّ مُجَابِبِ
تَكُونُ وَلَا إِلَّا إِلَيْهِ مَذَاهِبِي

* * *

هول الفراق

عَبَثَ الْحَبِيبُ وَكَانَ مِنْهُ صُدُودُ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ مُعْرِضًا مَتَغَضِّبًا
وَيَضِنُّ عَنِّي بِالْكَلَامِ مُصَارِمًا
إِنِّي أَحَاذِرُ صَدَّهِ وَفِرَاقَهُ
يَا مَنْ دَعَانِي ثُمَّ أَدْبَرَ ظَالِمًا
إِنِّي لَأَكْثِرُ ذِكْرُكُمْ فَكَأَنَّمَا

وَنَأَى وَلَمْ أَكْ ذَاكَ مِنْهُ أُرِيدُ^(١)
وَإِذَا قَصَدْتُ إِلَيْهِ فَهُوَ يَجِيدُ
وَيُمَهِّجَتِي وَبِمَا يُرِيدُ أَجُودُ^(٢)
إِنَّ الْفِرَاقَ عَلَى الْمُحِبِّ شَدِيدُ
إِرْجِعْ وَأَنْتَ مُوَاصِلٌ مَحْمُودُ^(٣)
يُعْرِى لِسَانِي ذِكْرُكُمْ مَعْقُودُ

(١) الصدود: المنع.

(٢) يضمن: ييخل: مصارمًا: مقاطعًا.

(٣) أدبر: ابتعد، ولى.

أبكي لسُخْطِكَ حِينَ أَذْكَرُ مَا مَضَى
 لَا تَقْتُلْنِي بِالْجَفَاءِ تَمَادِيَا
 مَا زَالَ حُبُّكَ فِي فُؤَادِي سَاكِنًا
 فَيَلِينُ طَوْرًا لِلرَّجَاءِ وَتَارَةً
 حَتَّى بَرَى جِسْمِي هَوَاكِ فَمَا تُرَى
 لَا الْحُبُّ يَصْرِفُهُ فُؤَادِي سَاعَةً
 وَكَأَنَّ حُبَّ النَّاسِ عِنْدِي سَاكِنٌ
 أَمْسَى فُؤَادِي عِنْدَكُمْ وَمَحَلُّهُ
 ذَهَبَ الْفُؤَادُ فَمَا أَحْسُ حَسِيْسَهُ
 وَاللَّهُ لَا أَبْغِي سِوَاكِ حَبِيبَةً
 لِلَّهِ دُرُّ الْغَانِيَاتِ جَفَوْنَنِي
 يَرَعَيْنَ عَهْدِي مَا شَهِدْتُ فَإِنْ أَغْبَ

يَا لَيْتَ مَا قَدْ فَاتَ لِي مَرْدُودًا
 وَاعْنِي بِأَمْرِي إِنِّي مَجْهُودٌ^(١)
 وَلَهُ، بِزَيْدٍ تَنْفُسِي تَرْدِيدٌ^(٢)
 يَشْتَدُّ بَيْنَ جَوَانِحِي وَيَزِيدُ
 إِلَّا عِظَامٌ يُبْسُ وَجُلُودُ
 عَنْهُ وَلَا هُوَ مَا بَقِيَتْ يُبِيدُ
 وَكَأَنَّهُ بِجَوَانِحِي مَشْدُودُ
 عِنْدِي فَأَيْنَ فُؤَادِي الْمَفْقُودُ؟
 وَأَظُنُّهُ بِوَصَالِكُمْ سَيَعُودُ
 مَا اخْضَرَ فِي الشَّجَرِ الْمَوْرِقِ عُودُ
 وَأَنَا لَهْنٌ عَلَى الْجَفَاءِ وَدُودٌ^(٣)
 يَوْمًا فَمَا لِي عِنْدَهُنَّ عُهْدُ

* * *

(١) مجهود: متعب.

(٢) الترديد: الترجيع.

(٣) الغانيات: ج الغانية، وهي الفتاة الحسنة التي استغنت بجمالها عن التزين. جفوني: ابتعدن عني.

أبو فراس الحمداني

هو الفارس والشاعر والأمير الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي. وُلد بالموصل سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م. قُتل والده وهو صغير، فنشأ في كنف ابن عمّه سيف الدولة أمير حلب. اتّصل بالعلماء والأدباء، وأخذ عنهم، وتدرّب على القتال والفروسيّة، فصحبه ابن عمّه في غزواته، وحارب الروم، فأظهر شجاعة ممّا حمل سيف الدولة على أن يأنس به، فولّاه إمارة منبج، وهو دون العشرين من العمر. وكانت هذه الإمارة من أخطر ثغور الدولة الحمدانيّة، فدافع أبو فراس عنها دفاع الأبطال إلّا أنّ الحظّ قد خانته ذات مرّة، فوقع أسيرًا لدى الروم، فساقوه إلى خرشنة، ثمّ إلى القسطنطينية، حيث طال أسره دون أن يفتديه ابن عمّه. وهناك نظم أروع أشعاره الوجدانيّة التي عرفت «بالروميات».

وبعد خروجه حصل تنافس بينه وبين ابن سيف الدولة، فقتله أحد أتباعه، وذلك سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٨م.

* * *

أراك عصي الدمع

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
 بلى، أنا مشتاق وعندي لوعة
 إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى
 تكاد تضيء النار بين جوانحي
 مغللتني بالوصل والموت دونه
 حفظت وضيعت المودة بيننا
 وما هذه الأيام إلا صحائف
 بنفسي من الغادين في الحي عادة
 تروغ الى الواشين في، وإن لي
 بدوت وأهلي حاضرون، لأنني
 وحاربت قومي في هواك، وإنهم
 فإن يك ما قال الوشاة ولم يكن
 وفيت وفي بعض الوفاء مدلة
 وقور، ورينعان الصبا يستفزها
 تسألني: من أنت؟ وهي عليمه

أما للهوى نهى عليك ولا أمر^(١)
 ولكن مثلي لا يذاع له سر
 وأذلت دمعاً من خلايقه الكبير^(٢)
 إذا هي أذكتها الصبابة والفكر^(٣)
 إذا بت ظمأنا فلا نزل القطر^(٤)
 وأحسن من بعض الوفاء لك العذر
 لأخرفها، من كف كاتبها بشر
 هواي لها ذنب، وبهجتها عذر
 لأذنبها عن كل واشية وقر^(٥)
 أرى أن داراً لست من أهلها قفر^(٦)
 وإيائي، لولا حبك، الماء والخمر
 فقد يهدم الإيمان ما شيد الكفر
 لإنسانة في الحي شيمتها العذر^(٧)
 فتأرن أحياناً كما أرن المهر^(٨)
 وهل يفتي مثلي على حالة نكر

(١) شيمتك: طبعك وخلقت.

(٢) أضواني: عذبني وشجاني. خلايقه: جمع خليفة وهي الطبع والصفة المميزة.

(٣) أذكتها: أشعلتها.

(٤) مغللتني بالوصل: من تبسط لي الآمال في الوصل. القطر: المطر.

(٥) تروغ: تميل وتستمتع. وقر: صمم.

(٦) بدوت وأهلي حاضرون: اختلقت حياتي عن حياة قومي. انصرف عنهم وملت إليك.

(٧) شيمتها: طبيعتها وخلقتها.

(٨) أرن: نشط ومرح.

فَقُلْتُ لَهَا: لَوْ شِئْتَ لَمْ تَتَعَتِّي
فَقَالَتْ: لَقَدْ أَزْرَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا
وَمَا كَانَ لِلْأَحْزَانِ لَوْلَاكَ مَسَلُكَ
وَتَهْلُكَ بَيْنَ الْهَزْلِ وَالْجِدِّ مُهْجَةً
فَأَيَقَنْتُ أَنَّ لَا عِزَّ بَعْدِي لِعَاشِقٍ
وَقَلْبْتُ أَمْرِي لَا أَرَى لِي رَاحَةً
فَعُدْتُ إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَحُكْمِهَا
فَلَا تُنْكِرْنِي يَا ابْنَةَ الْعَمِّ، إِنَّهُ
وَلَا تُنْكِرْنِي، إِنَّنِي غَيْرُ مُنْكَرٍ
وَأَنَا لَجَرَّارٍ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ
وَأَنَا لَنَزَالٍ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ
فَأَظْمَأُ حَتَّى تَرْتَوِيَ الْبَيْضُ وَالْقَنَا
وَلَا أَصْبِحُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بِغَارَةٍ
وَيَا رَبُّ دَارٍ لَمْ تَخْفَنِي مَنِيْعَةٍ
وَحَيٌّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ حَتَّى مَلَكَتُهُ
وَسَاحِبَةَ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيْتُهَا
وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ

وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي، وَعِنْدَكَ بِي خُبْرٌ^(١)
فَقُلْتُ: مَعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتِ لَا الدَّهْرُ^(٢)
إِلَى الْقَلْبِ، لَكِنَّ الْهَوَى لِلْبَلَى جِسْرُ
إِذَا مَا عَدَاهَا الْبَيْنُ عَذَّبَهَا الْهَجْرُ^(٣)
وَأَنَّ يَدِي مِمَّا عَلَقْتُ بِهِ صِفْرُ^(٤)
إِذَا الْبَيْنُ أَنْسَانِي أَلَحَّ بِي الْهَجْرُ
لَهَا الذَّنْبُ لَا تُجْزَى بِهِ وَلِي الْعَذْرُ
لِيَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتِهِ الْيَدُ وَالْحَضْرُ
إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ، وَاسْتَنْزَلَ النَّصْرُ
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا يُخِلَّ بِهَا النَّصْرُ
كَثِيرٌ إِلَى نَزَالِهَا النَّظَرُ الشَّرُّ^(٥)
وَأَسْغَبُ حَتَّى يَشْبَعَ الذَّنْبُ وَالنَّسْرُ^(٦)
وَلَا الْجَيْشُ، مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي النَّذْرُ
طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ
هَزِيمًا، وَرَدَدْتَنِي الْبَرَاقِعُ وَالْخُمْرُ^(٧)
فَلَمْ يَلْقَهَا جَافِي اللَّقَاءِ وَلَا وَغْرُ
وَرُخْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَبْيَاتِهَا سِتْرُ

(١) التعتت: طلب المشقة.

(٢) أزرى به: عابه ووضع من قيمته ومنزلته.

(٣) البين: الفراق والبعد.

(٤) صفر: خاوية فارغة.

(٥) النظر الشر: النظر بجانب العين مع الإعراض أو الغضب.

(٦) البيض: السيوف. القنا: الرماح. أسغب: أجوع.

(٧) الخمر: جمع «خمار» وهو غطاء الرأس للمرأة.

ولا راحَ يَطْغِينِي بِأَثْوَابِهِ الْغِنَى
وما حاجَتِي بِالْمَالِ أَبْغِي وَفُورَهُ
أَسِرْتُ وما صَحْبِي بِعُزْلِ لَدَى الْوَعَى
وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى امْرِئٍ
وَقَالَ أَصْنَحَابِي: الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى؟
وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعِيبُنِي
يَقُولُونَ لِي: بَغْتَ السَّلَامَةَ بِالرَّدَى
وَهَلْ يَتَجَافَى عَنِّي الْمَوْتُ سَاعَةً
هُوَ الْمَوْتُ فَاخْتَرْ مَا عَلَا لَكَ ذِكْرُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي دَفْعِ الرَّدَى بِمَذَلَّةٍ
يَمُتُونَ أَنْ خَلُّوا ثِيَابِي، وَإِنَّمَا
وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمْ دُقٌّ نَضْلُهُ
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ
فَإِنْ عِشْتُ، فَالطَّغْنُ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ
وإنْ مِتُّ فَالْإِنْسَانُ لَا بُدَّ مَيِّتٍ

ولا باتَ يَثْنِينِي عَنِ الْكَرَمِ الْفَقْرُ^(١)
إِذَا لَمْ أَصُنْ عِرْضِي فَلَا وَفَرَ الْوَفْرُ
وَلَا فَرَسِي مُهَرَّ وَلَا رَبُّهُ غِمْرُ^(٢)
فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَخْرُ^(٣)
فَقُلْتُ: هُمَا أَمْرَانِ أَخْلَاهُمَا مُرٌّ
وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ
فَقُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ، مَا نَالَنِي خُسْرُ
إِذَا مَا تَجَافَى عَنِّي الْأَسْرُ وَالضُّرُّ؟
فَلَمْ يَمُتِ الْإِنْسَانُ مَا حَيَّيَ الذُّكْرُ
كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا بِسُوءَتِهِ عَمْرُو^(٤)
عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمْ حُمْرُ
وَأَغْقَابُ رِمَحٍ فِيهِ قَدْ حُطِمَ الصَّدْرُ
وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَذْرُ
وَتِلْكَ الْقَنَا وَالْبَيْضُ وَالضُّمَرُ الشُّقْرُ^(٥)
وإنْ طَالَتْ الْأَيَّامُ وَانْقَسَحَ الْعُمْرُ^(٦)

(١) يثني: يمدحني.

(٢) العزل: جمع أعزل، الذي لا سلاح معه. الغمر: الجاهل، غير المجرب.

(٣) إذا همَّ القضاء على امرئ: إذا حانت ساعته، أي موته.

(٤) السوءة: الفعلة القبيحة التي تجلب المذلة والعار. يشير إلى عمل عمرو بن العاص عندما

دفعه دهاؤه إلى كشف سوءته وقت مبارزته للإمام علي بن أبي طالب، فاضطرَّ الإمام إلى

إشاحة وجهه، لأنه - كرم الله وجهه - لم ينظر إلى سوءة في حياته.

(٥) القنا: الرماح. البيض: السيوف. الضمر الشقر: الجياد الضامرة الشقراء اللون، كناية عن

سرعتها الفائقة وكرم عنصرها.

(٦) انقصح العمر: امتدَّ الأجل.

وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ إِكْتَفَوَا بِهِ وَمَا كَانَ يَغْلُو التُّبْرُ لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ^(١)
 وَنَحْنُ أَنْبَاسٌ لَا تَوْسُطُ بَيْنَنَا لَنَا الصُّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ^(٢)
 تَهَوُّنٌ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفَوسُنَا وَمَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا الْمَهْرُ
 أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعَلَا وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التَّرَابِ وَلَا فَخْرُ^(٣)

* * *

يا حسرة

يَا حَسْرَةً مَا أَكَاذُ أَحْمِلُهَا آخِرُهَا مُزْعَجٌ وَأَوَّلُهَا
 عَلِيلَةٌ بِالشَّامِ مُفْرَدَةٌ بَاتَ بِأَيْدِي الْعَدَى مَعْلَلُهَا^(٤)
 تُمْسِكُ أَحْشَاءَهَا عَلَى حُرْقٍ تُطْفِئُهَا وَالْهَمُومُ تُشْعِلُهَا^(٥)
 إِذَا اطمأنت، وأين، أو هَدَأَتْ عَنَّتْ لَهَا ذِكْرَةٌ تُقْلِقِلُهَا^(٦)
 يَا أَيُّهَا الرَّاكِبَانِ هَلْ لَكُمَا فِي حَمَلٍ نَجْوَى يَخِيفُ مَحْمَلُهَا^(٧)
 قُولَا لَهَا إِنْ وَعَتْ مَقَالِكُمَا وَإِنْ ذَكَرِي لَهَا لِيُذْهِلُهَا^(٨)
 يَا أُمَّتَا هَذِهِ مَنَازِلُنَا نَتْرُكُهَا تَارَةً وَنَنْزِلُهَا^(٩)

(١) التبر: الذهب. الصفرة: النحاس.

(٢) الصدر: الصدارة والرياسة والسيادة.

(٣) من فوق التراب: الناس جميعاً.

(٤) عليلة: أي مريضة والمقصود أمه. المعلل: المعزّي، والمقصود هو نفسه.

(٥) الحرق: ج الحرقعة، وهي ألم النفس.

(٦) عنت: ظهرت. الذكرة: الذكرى. تقلقلها: تحزنها.

(٧) الراكبان: المسافرين. ومن عادة الشعراء مخاطبة الاثنين. النجوى: هنا الرسالة الشفوية.

(٨) وعت مقالكما: أي فهمت كلامكما. يذهلها: يفقدها الوعي.

(٩) في هذا البيت إشارة إلى أن الحياة لا تستقر على حال، وأنهم فيها بين إقامة ورحيل.

يا أَمَّا هَذِهِ مَوَارِدُنَا نَعْلُهَا تَارَةً وَنَنْهَلُهَا^(١)
 أَسْلَمْنَا قَوْمَنَا إِلَى نُوبٍ أَيْسَرُهَا فِي الْقُلُوبِ أَقْتُلُهَا^(٢)
 وَاسْتَبَدَّلُوا بَعْدَنَا رَجَالَ وَغَى يَوَدُّ أَذْنَى عَلَايَ أَمْثَلُهَا^(٣)
 يَا سَيِّدًا لَا تُعَدُّ مَكْرَمَةً إِلَّا وَفِي رَاحَتِيهِ أَكْمَلُهَا^(٤)
 لَيْسَتْ تَنَالُ الْقِيُودُ مِنْ قَدَمِي وَفِي اتِّبَاعِي رِضَاكَ أَحْمَلُهَا^(٥)
 أَنْتَ سَمَاءٌ وَنَحْنُ أَنْجُمُهَا أَنْتَ بِلَادٌ وَنَحْنُ أَجْبُلُهَا
 أَنْتَ سَحَابٌ وَنَحْنُ وَابِلُهُ أَنْتَ يَمِينٌ وَنَحْنُ أَنْمَلُهَا^(٦)
 بِأَيِّ عُذْرٍ رَدَدْتَ وَالْهَةَ عَلَيْكَ دُونَ الْوَرَى مُعَوْلُهَا^(٧)
 جَاءَتْكَ تَمْتَاخُ رَدٍّ وَاحِدِهَا يَنْتَظِرُ النَّاسُ كَيْفَ تُقْفِلُهَا^(٨)
 سَمَخْتُ مَنِّي بِمَهْجَةٍ كَرُمْتُ أَنْتَ عَلَى يَاسِيهَا مُؤْمَلُهَا^(٩)
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَبْذِلِ الْفِدَاءَ لَهَا فَلَمْ أَزَلْ فِي رِضَاكَ أَبْذُلُهَا
 تِلْكَ الْمَوَدَّاتُ كَيْفَ تُهْمَلُهَا تِلْكَ الْمَوَاعِيدُ كَيْفَ تَغْفَلُهَا
 أَيْنَ الْمَعَانِي الَّتِي عُرِفَتْ بِهَا تَقُولُهَا دَائِمًا وَتَفْعَلُهَا
 يَا وَاسِعَ الدَّارِ كَيْفَ تَوْسَعُهَا وَنَحْنُ فِي صَخْرَةٍ نَزْلُزُلُهَا
 يَا نَاعِمَ الثَّوْبِ كَيْفَ تُبَدِّلُهُ ثِيَابُنَا الصَّوْفُ مَا نَبْدُلُهَا

- (١) نعلها: نشرها بشكل متقطع. نهلها: نشرها بشكل متواصل.
 (٢) النوب: المصائب. أيسرها: أخفها.
 (٣) الوغى: الحرب. أمثلها: أفضلها.
 (٤) الراحتان: مثني الراحة، وهي باطن الكف. أكملها: أتمها.
 (٥) تنال من قدمه: أي تصيبها بأذى.
 (٦) الوابل: المطر. الأنمل: الأصابع.
 (٧) الوالهة: الشديدة الحزن، والمقصود أمه. الورى: الناس. دون الورى: أي بين الناس.
 عليك معولها: عليك اعتمادها.
 (٨) تمتاخ: تسأل. تقفلها: ترجعها.
 (٩) المهجة: النفس.

يا راكب الخيل لو بَصُرْتَ بنا نحملُ أقيادنا وننقلُها^(١)
رأيتَ في الضُرِّ أوجهاً كَرُمَتْ فارق فيك الجمالُ أجملُها^(٢)
قد أثَّرَ الدهرُ في محاسنها تَعْرِفُها تارةً وتَجْهَلُها

* * *

مصابي جليل

مُصَابِي جَلِيلٌ وَالْعِزَاءُ جَمِيلٌ وَظَنِّي بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُدِيلُ^(٣)
جِرَاحٌ وَأَسْرٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغَرِبَةٌ أَحْمَلُ إِنِّي بَعْدَهَا لَحَمُولُ
وَلَأَنِّي فِي هَذَا الصَّبَاحِ لَصَالِحٌ وَلَكِنَّ خَطْبِي فِي الظَّلَامِ جَلِيلُ^(٤)
وَمَا نَالَ مَنِّي الْأَسْرُ مَا تَرِيَانِهِ وَلَكِنِّي دَامِي الْجِرَاحِ عَلِيلُ
جِرَاحٌ تَحَامَاهَا الْأَسَاءَةُ مَخُوفَةٌ وَسُقْمَانٌ: بَادٍ مِنْهُمَا وَدَخِيلُ^(٥)
وَأَسْرٌ أَقَاسِيهِ وَلَيْلٌ نَجُومُهُ أَرَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَهُنَّ يَزُولُ
تَطُولُ بِي السَّاعَاتُ وَهِيَ قَصِيرَةٌ وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لَا يَسْرُكُ طَوْلُ
تَنَاسَانِي الْأَصْحَابُ إِلَّا عُصْبِيَّةٌ سَتَلْحَقُ بِالْآخِرَى غَدًا وَتَزُولُ^(٦)
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْعَهْدِ مِنْهُمْ وَإِنْ كَثُرَتْ دَعْوَاهُمْ لِقَلِيلُ
أَقْلَبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبِ يَمِيلُ مَعَ النِّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ^(٧)
وَصِرْنَا نَرَى أَنَّ الْمُتَارِكَ مُخْسِنٌ وَأَنْ خَلِيلًا لَا يَضُرُّ خَلِيلُ

(١) الأقياد: ج القيد.

(٢) الضر: العذاب.

(٣) يديل: يبدل.

(٤) الخطب: المصيبة الكبرى.

(٥) الأساءة: ج الآسي، وهو الطيب.

(٦) عصبية: جماعة قليلة.

(٧) النعماء: أي الخير والمنفعة.

وليس زمني غادرَ بي وحدهُ
تصفّحتُ أقوالَ الرجالِ فلم يكن
أكلُ خليلٍ أنكَدَ غيرَ مُنْصِفٍ؟
نعم دعتِ الدنيا إلى الغدرِ دعوةً
وقبلي كان الغدرُ في الناسِ شيمةً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه
فيا حسرتا من لي بخلٍ موافقٍ
وإن وراءَ السترِ أمّا بكاؤها
فيا أمّتا لا تعدمي الصبرَ إنّه
ويا أمّتا لا تُخطِئي الأجرَ إنّه
ويا أمّتا صبرًا فكلُّ مُلِمّةٍ
تأسّي كفاك الله ما تحذيرتهُ
وكوني كما كانت بأخذِ صفةٍ
ولو ردّ يومًا حمزةَ الخيرِ حزنُها
وما أثري يومَ اللقاءِ مذمّمٌ
لقيتُ نجومَ الليلِ وهي صوارمٌ
ولم أزعَ للنفسِ الكريمةِ خلةً
ولكن لقيتُ الموتَ حتى تركتها

ولا صاحبي دون الرجالِ ملولٌ
إلى غيرِ شاكٍ في الزمانِ وُصولٌ
وكلُّ زمانٍ بالكرامِ بخيلٌ
أجاب إليها: عالمٌ وجهولٌ
وذمّ زمانٌ واستلامِ خليلٍ^(١)
وخلّى أميرَ المؤمنين عقيلاً^(٢)
أقول بشجوي مرّةٍ ويقولُ
عليّ وإن طالَ الزمانُ طويلٌ
إلى الخيرِ والنّجحِ القريبِ رسولٌ
على قَدَرِ الصبرِ الجميلِ جزيلٌ
تجلّى على علّاتها وتزولُ^(٣)
فقد غالَ هذا الدهرَ قبلكِ غولٌ
ولم يُشفَ منها بالبكاءِ غليلٌ^(٤)
إذا ما علّتها رنةٌ وعويلٌ
ولا موقفي عند الإِسارِ ذليلٌ
وحُضنتُ سوادَ الليلِ وهو يَهولُ
عشيّةً لم يَغطِفَ عليّ خليلٌ
وفيها وفي حدّ الحسامِ فلولُ^(٥)

(١) استلام: استحقّ اللوم. الخليل: الصديق الخالص.

(٢) كان عمرو بن الزبير مع بني أمية ضدّ أخيه عبدالله، وكان عقيلاً بن أبي طالب، أخو الإمام عليّ، ضدّ أخيه في الخلافة..

(٣) الملمّة: المصيبة.

(٤) صفة: عمّة النبي (ﷺ)، وأخت حمزة.

(٥) الحسام: السيف. الفلول: الكسور في حدّ السيف.

ومن لا يوق الله فهو مُمَزَّقٌ
إذا لم يُعِنِكَ اللهُ فيما تُريدُه
وإن هو لم يَنْصُرْكَ لم تَلَقْ ناصِراً
إذا ما وَقَاكَ اللهُ أمراً تخافُه
وإن هو لم يَذُلُّكَ في كلِّ مسلكٍ
وإنَّ رجائيهِ وظنِّي بفضليهِ
وما دام سيفُ الدولةِ القرمُ باقياً
وما دام سيفُ الدولةِ القرمُ باقياً
فلَمَّا حياةٌ في فِناهُ عزيزةٌ
وَمَنْ لَمْ يُعِزُّ اللهُ فهو ذليلٌ
فليسَ لِمُخلوقٍ إليه سبيلُ
وإن جَلَّ أنصارُ وعِزُّ قبيلُ
فما لك ممّا تثقيه مُقيلُ
ضَلَلْتَ ولو أَنَّ السَّمَاءَ دليلُ^(١)
على قبح ما قَدَّمْتُهُ لجميلُ
فظلُّكَ فَيَّاحُ الجَنابِ ظليلُ^(٢)
يجود بتخليصي لكم ويُنيلُ
وإِما مَمَاتٌ في ذِراهُ جميلُ

* * *

الشاعر والحمامة

أقولُ وَقَدْ ناحتَ بقربي حمامةٌ
معاذَ الهوى ما ذُقْتَ طارقةَ النَّوى
أَتَحْمِلُ محزونَ الفؤادِ قوادِمُ
أجارتنا ما أنصفَ الدهرَ بيننا
تعالني تَرِنِي روحاً لديّ ضعيفةٌ
أَيُضْحِكُ مأسورٌ وتبكي طليقةٌ
لقد كُنْتُ أُولَى منكِ بالدَّمْعِ مُقَلَّةٌ
أيا جارتنا هَلْ تشعرين بحالي؟
ولا خَطَرَتْ منكِ الهمومُ بيالي
على غُصْنِ نائي المسافةِ عالٍ؟^(٣)
تعالني أقاسِمكِ الهمومَ تعالي
تردُّدُ في جسمٍ يُعَذِّبُ بالِ
وَيَسْكُتُ محزونٌ وَيَتَذَبُّ سالٍ؟
ولكنَّ دَمْعِي في الحوادثِ غالٍ

* * *

(١) السماء: كل ما رُفِعَ.

(٢) القرم: السيد العظيم.

(٣) القوادِم: كبار الريش من جناح الطائر.

المتنبّي

هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي الملقّب بالمتنبّي، ولد في كندة من أعمال الكوفة سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م في بيت فقير من أب يعمل سقاءً في الكوفة، ويعرف بـ«عبدان السقاء».

نشأ محباً للعلم، فصحبه أبوه إلى الشام حيث درس على الأخفش، وابن دريد، والزجاج.

قضى حياته متنقلاً من أمير إلى آخر، وخاصة بعد أن ذاق مرارة الحرمان والحاجة، يمدح هذا ويهجو ذاك إلى أن اتّصل بسيف الدولة أمير حلب، فقضى عنده حوالي تسع سنوات، وكان في أثنائها شاعره المفضل، ولكن حسد الحساد اضطرّه إلى مغادرته والاتصال بكافور الإخشيدي الذي قضى عنده أربع سنوات تقريباً، وغادره هارباً من السجن، تاركاً وراءه قصيدة هجاء مقذعة.

كان المتنبّي سيئ الحظّ كثير الحساد، شديد التذمّر، فاجأه فاتك الأسدي قرب الرصافة، فقتله مع ابنه وغلّامه لأنّه كان قد هجا أخته. وكان ذلك سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م.

* * *

وصف الحمى

قال يذكر حمى كانت تغشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر،
وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة:

مَلُومُكَمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ	وَوَقَعُ فَعَالِهِ فَرَقَ الْكَلَامِ ^(١)
ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلِ	وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامِ ^(٢)
فَإِنِّي أَسْتَرِيحُ بِذِي وَهَذَا	وَأَتَعَبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمُقَامِ ^(٣)
عُيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حَزْتُ عَيْنِي	وَكُلُّ بُغَامٍ رَازِحَةٍ بُغَامِي ^(٤)
فَقَدْ أَرَدُ الْمِيَاءَ بِغَيْرِ هَادٍ	سِوَى عَدْيٍ لَهَا بَرْقُ الْغَمَامِ ^(٥)
يُذِمُّ لِمُهَجَّتِي رَبِّي وَسَيَفِي	إِذَا اخْتَجَّ الْوَحِيدُ إِلَى الذَّمَامِ ^(٦)
وَلَا أُمْسِي لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفًا	وَلَيْسَ قَرَى سِوَى مَخِ النَّعَامِ ^(٧)
فَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خَبًا	جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ بَابِتْسَامِ ^(٨)
وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ	لِعِلْمِي أَنَّهُ بَغْضُ الْأَنَامِ ^(٩)

(١) ملومكما: يعني نفسه. والشاعر يخاطب صاحبيه. يجل: يرتفع. الفعال: الأفعال.

(٢) ذراني: اتركاني. الفلاة: الصحراء. الهجير: حرّ متصف النهار.

(٣) الإناخة: النزول. المقام: الإقامة.

(٤) الرواحل: جمع الراحلة، وهي الناقة. بغام الناقة: صوت لا تفصح به.

(٥) يقول: لا أحتاج في ورود الماء إلى دليل يدلني سوى أن أعد بروق الغمام، وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدّوا سبعين برقة: وقيل: مئة، فإذا كملت وثقوا بأن البرق برق ماطر، فرحلوا يطلبون موضع الغيث.

(٦) يذم: يُعطي الذمة. يقول: لا أستصحب أحدًا في سفري لأمن بصحبته.

(٧) القرى: طعام الضيوف. يقول: لا أُمسي ضيفًا للبخيل وإن لم يكن لي طعام ألبته، لأنه لا مخ للنعام.

(٨) الخب: الخداع.

(٩) أصطفيه: أصاحبه. الأنام: الناس.

يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ^(١)
وَأَنْفُ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ
أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّثَامِ^(٢)
وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدِّ هُمَامِ^(٣)
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدْ وَحْدٌ وَيَنْبُو نَبْوَةُ الْقَضِيمِ الْكَهَامِ^(٤)
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي فَلَا يَذُرُ الْمَطْيِ بِلَا سَنَامِ^(٥)
وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنْقَصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
أَقَمْتُ بِأَرْضٍ مِصْرَ فَلَا وَرَائِي تَحُبُّ بِي الْمَطْيِ وَلَا أَمَامِي^(٦)
وَمَلَنِي الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِي يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامِ
قَلِيلٌ عَائِدِي سَقِيمٌ فُؤَادِي كَثِيرٌ حَاسِدِي صَغْبٌ مَرَامِي^(٧)
عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعٌ الْقِيَامِ شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ^(٨)

(١) الوسام: حسن الصورة. يقول: إن العاقل يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما، فمن أضفى له الود أحبه، أما الجاهل فيحب على جمال الصورة.

(٢) يقول: إذا لومت الأخلاق، غلب اللؤم الأصل الطيب الكريم، فيصبح صاحبها كريماً، وإن كان من أصل كريم.

(٣) أعزى: أنسب. الهمام: الشجاع السخي. يقول: أنا فاضل بنفسي ولا أقنع بأن أنسب إلى جد فاضل.

(٤) القد: القامة. الحد: حد السيف. والمقصود بمن له قد وحد الشاب الذي لم يهدمه الهرم. ينبو: لم يصب. القضم: السيف الذي فيه فلول. الكهام: الذي لا يقطع. يقول: عجبت لمن توافرت له قوة الشباب وبأسه، ولا يكون نافذاً في الأمور.

(٥) يذر: يترك. المطي: الإبل. السنام: ما ارتفع من ظهر البعير. يقول: عجبت ممن وجد الطريق إلى المعالي كيف لا يتعب مطاياهم في هذه الطريق حتى تذهب أسنمتها.

(٦) تحب: تعدو.

(٧) عائدي: زوّاري في مرض. سقيم: مريض.

(٨) المدام: الخمرة.

وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَّلْتَنِي
كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي
أَرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ
وَيَصْدُقُ وَغْدُهَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ
أَبْنَتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ
جَرَحَتْ مُجْرَحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ
يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ: أَكَلْتَ شَيْئًا
وَمَا فِي طَبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ
تَعَوَّدَ أَنْ يُغْبَرَ فِي السَّرَايَا
فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ^(١)
فَعَاثَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي^(٢)
فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السُّقَامِ^(٣)
كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ^(٤)
مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةِ سِجَامٍ^(٥)
مُرَاقِبَةٌ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ^(٦)
إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرْبِ الْعِظَامِ^(٧)
فَكَيْفَ وَصَلْتَ أَنْتِ مِنَ الزُّحَامِ^(٨)
مَكَانٌ لِلْسُّيُوفِ وَلَا السُّهَامِ
وَذَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ
أَضَرَّ بِجَسْمِهِ طَوْلُ الْجِمَامِ^(٩)
وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامٍ^(١٠)

(١) زائري: يقصد الحمى.

(٢) المطارف: جمع مطرف، وهو نوع من اللباس. الحشايا: جمع حشية، وهي ما حُشي من الفراش ليُجلس عليه.

(٣) السقام: الأوجاع ونحوها.

(٤) يقول: إنه يعرف عند فراقها، فكأنها تغسله لعكرها على ما يُوجب الغسل.

(٥) أربعة سجام: أربعة مجارٍ للدموع غزيرة.

(٦) يقول: إنه يراقب زيارتها خوفًا لا شوقًا.

(٧) الكُرب: المصائب.

(٨) بنت الدهر: المصيبة، ويقصد الحمى هنا.

(٩) الجمام: الراحة.

(١٠) يُغْبَر: يُثير الغبار. السرايا: جمع السرية، وهي القطعة من الجيش. القتام: الغبار. وأراد بدخول القتام دخول الحرب.

فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَزَعَى وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ
فَإِنْ أَمْرَضَ فَمَا مَرِضَ اضْطِيارِي وَإِنْ أَحْمَمَ فَمَا حُمَّ اعْتَزَامِي^(١)
وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْجَمَامِ إِلَى الْجَمَامِ^(٢)

* * *

رثاء جدته

أَلَا لَا أَرِي الْأَخْدَاتِ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا^(٣)
إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى يَعُودُ كَمَا أَبْدِي وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى^(٤)
لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةٍ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَضَمًّا^(٥)
أَحِنُّ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتُ بِهَا وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمًّا^(٦)
بَكَيتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كِلَانًا تُكَلِّ صَاحِبِهِ قَدَمًا^(٧)
وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُجِيبِينَ كُلَّهُمْ مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرَمًا^(٨)
عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا فَلَمَّا دَهَنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمًا^(٩)
مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعٍ غَيْرِهَا تَعْدَى وَتَزَوَّى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمًا^(١٠)

(١) أحمم: أصاب بالحمى.

(٢) الحمام: الموت.

(٣) البطش: الأخذ بغلبة وقوة. الأحداث: مصائب الدهر.

(٤) أكرى الشيء: نقض. أرمى: أربى وزاد.

(٥) الوصم: العار.

(٦) الكأس: يعني به الموت. مثواها: مقامها أي القبر.

(٧) الثكل: الفقد. قدما: قديما.

(٨) أجد: جدد. الصرم: القطيعة.

(٩) عرفت الليالي أي كنت عالما بها وتفريقها بين الأحبة.

(١٠) يعني أن منافع الليالي في مضرة غيرها من الناس.

أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي
تَعَجَّبُ مِنْ خَطِي وَلَفْظِي كَأَنَّهَا
وَتَلَثَّمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادُهُ
رَقًا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا
وَلَمْ يُسَلِّهَا إِلَّا الْمَنَايَا وَإِنَّمَا
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَتْ وَقَاتَنِي
فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَا
وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى
هَبِيبِي أَخَذْتُ الثَّارَ فَيْكَ مِنَ الْعِدَا
وَمَا أُنْسَدْتُ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضَيْقِهَا
فَوَا أَسَفًا أَنْ لَا أَكِبُّ مُقَبَّلًا
فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتْ بِهَا غَمًّا^(١)
أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمًّا^(٢)
تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمًا^(٣)
مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْيَابَهَا سُحْمًا^(٤)
وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بَعْدَمَا أَذْمَى^(٥)
أَشَدُّ مِنَ السَّقَمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمًا^(٦)
وَقَدْ رَضِيتُ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا قِسْمًا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَغَى وَالْقَنَا الصُّمًّا^(٧)
فَقَدْ صَارَتْ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْعُظْمَى^(٨)
فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّارِ فَيْكَ مِنَ الْحُمَى^(٩)
وَلَكِنَّ طَرَفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَعْمَى^(١٠)
لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ الَّذِي مِلْنَا حَزْمًا^(١١)

- (١) الترحة: الحزن يعني أن الحزن اشتد عليه فكانه مات بها غمًا.
- (٢) يقول أن السرور حرام عليه فإنه بعد موت جدته يعده سمًا فيتجنبه ويحرمه على نفسه.
- (٣) الأغربة: جمع غراب. والعصم: جمع أعصم وهو الذي في جناحه بياض والغراب الأعظم نادر الوجود.
- (٤) المحاجر: ما حول العينين. سحما: سودا.
- (٥) رقا الدمع والدم: انقطع.
- (٦) المنايا: الموت. السقم: المرض الشديد.
- (٧) استسقى: طلب السقيا (الماء). الغمام: السحاب. الوغى: الحرب. القنا: الرماح. الصم: الصلاب.
- (٨) النوى: البعد.
- (٩) يتساءل المتنبي كيف باستطاعته أن يأخذ ثارها من العلة التي قتلها.
- (١٠) لقد أصبح كالأعمى لفقدائها فانسدت عليه المسالك وضاعت الدنيا.
- (١١) أكب: انكب أي إنحنى على وجهه. الذي: اللذين.

وَأَنْ لَا أَلَا قِي رُوحَكَ الطَّيِّبَ الَّذِي
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِشْتِ أَكْرَمَ وَالِدِ
لَيْتَن لَدَّ يَوْمُ الشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا
تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ
يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنْبِي
وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي
وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ تَحِيَّتِي
إِذَا فَلَ عَزَمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بُغْدِهِ
وَلِيْنِي لِمَنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا

كَأَنَّ ذَكِيَّ الْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا^(١)
لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخْمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا^(٢)
فَقَدْ وَلَدْتَ مِنِّي لِأَنْفِهِمْ رَغْمًا^(٣)
وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا^(٤)
وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةِ طَعْمًا^(٥)
وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلًّا أَنْ يُسَمَّى^(٦)
جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيُتَمَّا^(٧)
بِأَضْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا^(٨)
وَمُزْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْعُشْمَا^(٩)
وَلَا فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطْلَ الْقَرْمَا^(١٠)
فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمَكِّنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمًا^(١١)
بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا^(١٢)

(١) المسك: نبات ذكي وشديد الرائحة.

(٢) الضخم: العظيم والجدة تسمى أُمًّا.

(٣) لَدَّ: طاب. الشامت: الفرح بمصيبة عدوه. بيومها: يوم موتها. رَغْمًا: الرغام. التراب:

أي الذل والقهر.

(٤) تَغَرَّبَ: أي خرج عن بلاده إلى الغربة.

(٥) العجاجة: الغبار.

(٦) ما أَنْتَ: ما أَنْتَ صانع.

(٧) اليُتَمَّا: اليتيم.

(٨) الجدد: الحظ والبخت.

(٩) بذبابه: ذباب السيف أي حده. العشم: الظلم.

(١٠) القرم في الأصل: البعير الذي لا يحمل عليه وإنما يعد للفحلة. وهو هنا السيد.

(١١) فل السيف: ثلثة استعاده للعزم على تشبيهه بالسيف. المدى: الغاية.

(١٢) الأنف: الاستنكاف من الشيء.

كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي وَيَا نَفْسُ زِيْدِي فِي كَرَائِبِهَا قَدْ مَا (١)
فَلَا عَبَّرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا

* * *

(١) الكراهة: جمع كربة.

ابن الرومي

هو أبو الحسن عليّ بن العباس بن جُريج (٢٢١هـ / ٨٣٥م - ٢٨٣هـ / ٨٩٦م). ولد في بغداد من أب روميّ، وأمّ فارسيّة. أكبّ على تحصيل العلم حتّى استقامت له ثقافة واسعة من لغة وأدب وفلسفة ودين. توالى المِحن عليه، فمات والده وهو حَدَث، ومات أخوه في شبابه، ومات أبناؤه الثلاثة، وماتت زوجته، والتهمت النيران بعض أملاكه، واغتصب الظلم البعض الآخر.

له ديوان ضخم من الشعر عالج فيه جميع الموضوعات الشائعة عند العرب. وفي الرثاء يندفق ابن الروميّ اندفاعاً لأنّه يرثي من يحبّ، ويرثي في حالة من الانفعال شديدة، وفي حالة من الحزن المتجمّع المتراكم شديدة أيضاً. وكان يخاطب الميت في لهفة المحبّة ولوعة الفراق، ويسكب نفسه عليه حسرة، ويُفصّل ما يعانيه من شقاء بعد فراقه، فيذكر آلامه، ووحشته، وسهره في ظلمات الليالي، ودموعه المتساقطة في غزارة وحرارة، ويذكر كيف مات الفقيد، وكيف زالت بالموت صفاته، فيتحسّر عليها تحسّراً يكسر القلب، وقد يخاطب تلك الصفات، ويذرف عليها العبرات، والذي يقرأ شعره يحزن للشاعر وسوء حاله أكثر ممّا يحزن للفقيد.

* * *

رثاء ولده الأوسط

بَكَأَوْكَمَا يَشْفِي، وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِي،
 أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْمَنَايَا وَرَمِيَهَا،
 تَوَخَّى حِمَامُ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صَبِيَّتِي،
 عَلَى حِينَ شِمْتُ الْخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ،
 طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي، فَأَضْحَى مَزَارُهُ
 لَقَدْ أَنْجَزْتُ فِيهِ الْمَنَايَا وَعِيدَهَا،
 لَقَدْ قُلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ لَبَنُهُ،
 أَلَحَّ عَلَيْهِ النَّزْفُ، حَتَّى أَحَالَهُ
 وَظَلَّ عَلَى الْأَيْدِي تَسَاقُطُ نَفْسُهُ،
 فَيَا لَكَ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا
 عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ
 وَمَا سَرَّنِي أَنْ يَغْتُهُ بِشَوَابِهِ
 وَلَا يَغْتُهُ طَوْعًا وَلَكِنْ غَصِبَتْهُ
 وَإِنِّي وَإِنْ مُتُّغْتُ بِأَبْنِيِّ بَعْدَهُ
 وَأَوْلَادُنَا مِثْلُ الْجَوَارِحِ أَيُّهَا
 فَجُودًا، فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمَا عِنْدِي^(١)
 مِنَ الْقَوْمِ، حَبَّاتِ الْقُلُوبِ، عَلَى عَمْدٍ
 فَلِلَّهِ، كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعَقْدِ^(٢)
 وَأَنْسْتُ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ^(٣)
 بَعِيدًا عَلَى قُرْبٍ، قَرِيبًا عَلَى بُعْدٍ
 وَأَخْلَفْتَ الْآمَالَ مَا كَانَ مِنْ وَعْدٍ
 فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ الْمَهْدِ، إِذْ ضَمَّ فِي اللَّحْدِ
 إِلَى صُفْرَةِ الْجَادِي عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ^(٤)
 وَيَذْوِي كَمَا يَذْوِي الْقَضِيبُ مِنَ الرَّندِ^(٥)
 تَسَاقُطَ دُرٌّ مِنْ نِظَامٍ بِلَا عَقْدٍ
 وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ^(٦)
 وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
 وَلَيْسَ عَلَى ظُلْمِ الْحَوَادِثِ مِنْ مُعْدٍ^(٧)
 لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ فِي نَجْدٍ^(٨)
 فَقَدْ نَاهُ كَانَ الْفَاجِعَ الْبَيِّنَ الْفَقْدِ

(١) بكأوكما: خطاب لعينيه.

(٢) واسطة العقد: الجوهرة التي في وسطه.

(٣) شمت: رأيت. أنست: نظرت. الآية: العلامة.

(٤) الجادي: الزعفران.

(٥) يذوي: يذبل. الرند: شجر طيب الرائحة.

(٦) ينفطر: ينشق. الصلد: الصلب.

(٧) المعدي: المعين.

(٨) النيب: ج ناب وهي الناقة المسنة.

لِكُلِّ مَكَانٍ لَا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُ
هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ
لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِي الْحَالُ بَعْدَهُ
تَكَلُّتُ سُرُورِي كُلَّهُ إِذْ تَكَلُّتُهُ
أَرْيَحَانَةُ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْحَشَا
سَأَسْقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ
أَعْيُنِي جُودًا لِي فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى
كَأَنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَمَّةٍ
أَلَامُ لِمَا أَبْدَيْ عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى
مُحَمَّدُ، مَا شَيْءٌ تُؤْهِمُ سَلْوَةً
أَرَى أَخَوَيْكَ الْبَاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَا
إِذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَدَعَا
فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوَةٌ بَلْ حَرَارَةٌ
وَأَنْتَ وَإِنْ أَفْرَدْتَ فِي دَارٍ وَخَشَةٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنِّي تَحِيَّةٌ

مَكَانُ أَخِيهِ مِنْ جَزُوعٍ وَلَا جَلْدٍ^(١)
أَمْ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي
وَأَصْبَحْتُ فِي لَذَاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدٍ^(٢)
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي
وَإِنْ كَانَتْ السُّقْيَا مِنَ الْعَيْنِ لَا تُجْدِي^(٣)
بِأَنْفَسٍ مِمَّا تَسْأَلَانِ مِنَ الرُّفْدِ^(٤)
وَلَا شَمَّةٍ فِي مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْدٍ
وَإِنِّي لِأَخْفِي مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أَبْدِي
لِقَلْبِي إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ
يَكُونَانِ لِلْأَخْزَانِ أَوْرَى مِنَ الزُّنْدِ^(٥)
فَوَادِي بِمِثْلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قُصِدِ
يَهِيْجَانِيهَا دُونِي وَأَشْقَى بِهَا وَخْدِي
فَإِنِّي بِدَارِ الْأَنْسِ فِي وَخْشَةِ الْفَرْدِ
وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرْقِ وَالرُّغْدِ

* * *

(١) الجزوع: الفاقد الصبر.

(٢) تكلت: فقدت.

(٣) أسعدت بالدمع: ساعدت.

(٤) الرفد: الجود والعطاء.

(٥) أوري: أكثر إيقادًا وإشعاعًا. الزند: حديدة من فولاذ تضرب بحجر صوان فينقدح النار.

الباب السادس:

من الشعر الوجدانيّ
في العصر الأندلسيّ

ابن زيدون

هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله المعروف بـ«ابن زيدون». ولد بقرطبة سنة ٣٩٤هـ/١٠٩٣م . أحبّ الأدب، ودرس على علماء قرطبة وأدبائها، وكانوا كثيرًا. فحفظ الكثير من الشعر والأخبار والسير والحكم والأمثال. ومال إلى اللهو والطرب شأن أهلها، وكان خفيف الظلّ ممّا أكسبه شهرة واسعة في مجالس الأدب والطرب، أسهم بانقلاب الدولة الأموية في الأندلس، فقام على أنقاضها دولة بني جهور، ثم أصبح وزيرًا في هذه الدولة، ولقّب بذي الوزارتين. ولكن الحساد أوغروا صدر الأمير عليه، فألقاه في السجن. ثم هرب واختفى... مستجيرًا بابن الأمير. ولمّا تولّى مكان أبيه، عاد واستوزره من جديد، لكنه لم يؤمن كيد الحساد، فهرب إلى إشبيلية حيث بنو العباد، فاستوزروه، وعاد معهم إلى قرطبة لما استولوا عليها، وجعلوها مقرًا لحكمهم. ولعلّ أهمّ حدث في حياته هو حبّه لولادة بنت المستكفي آخر خلفاء بني أميّة، وكانت شاعرة وأديبة، وقد نافسه في حبّه ابن عبدوس، وهذه المنافسة كانت سببًا لحبسه ونظمه أشهر قصائده.

توفي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م.

أضحى التائي

أضحى التائي بديلاً من تدائينا،
 ألا! وقد حان صبحُ البين، صَبَحْنَا
 مَنْ مُبْلِغُ الْمُلْسِينَا، بانتزاحِهِمْ،
 أَنَّ الزَّمانَ الذي ما زالَ يُضْحِكُنَا
 غِظَ العِدا مِنْ تَساقِينَا الهوى فدَعَوْا
 فأنحَلْ ما كانَ مَعْقُودًا بِأنفُسِنَا
 وَقَدْ نَكُونُ، وما يُخشى تَفَرُّقُنَا
 يا لَيْتَ شِعْرِي، ولم نُعِيبْ أعاديَكُم
 لم نَعْتَقِدْ بَعْدَكُم إِلَّا الوفاءَ لَكُم
 ما حَقُّنا أَنْ تُقَرِّوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ
 كُنَّا نَرى اليأسَ تُسْلِينَا عَوَارِضُهُ،
 بِشْمٍ وَبِنَا، فما ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا
 نَكَادُ، حينَ تُناجِيَكُم ضَمائِرُنَا،
 حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيامُنَا، فَعَدَتْ
 إِذْ جَانِبُ العِيشِ طَلَّقَ من تَأْلِفِنَا

وَنابَ عَنْ طيبِ لُقيانَا تَجافِينَا
 حينَ، فَقَامَ بِنَا لِلحينِ ناعِينَا^(١)
 حُزنًا، مَعَ الدَّهرِ لا يَبْلَى وَيُبْلِينَا
 أنسًا بِقُرْبِهِمْ، قَدْ عادَ يُبْكِينَا
 بِأَنْ نَعَصَّ، فَقَالَ الدَّهْرُ: آمِينَا
 وَانْبَتَّ ما كانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا^(٢)
 فالْيَوْمَ نَحْنُ، وما يُرْجى تَلاقِينَا
 هَلْ نالَ حَظًّا مِنَ العُتْبَى أعاديُنَا^(٣)
 رَأْيَا، وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
 بِنَا، وَلَا أَنْ تُسَرِّوا كاشِحًا فِينَا^(٤)
 وَقَدْ يَسِّنَا فَمَا لِلْيأسِ يُغْرِينَا^(٥)
 شَوْقًا إِلَيْكُم، وَلَا جَفَتْ مآقِينَا
 يَقْضِي عَلَيْنَا الأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا^(٦)
 سُدًّا، وَكانَتْ بِكُم بِيضًا لِيالِينَا^(٧)
 وَمَرَبِّعُ اللُّهُوِ صَافٍ مِنْ تَصافِينَا

(١) الحَيْنُ: الهلاك.

(٢) انْبَتَّ: انقطع.

(٣) نُعِيبُ: نرضي. وقوله من العتبي: أي من عتباكم، رضاكم.

(٤) الكاشِخُ: المبغض.

(٥) نَرى: نظن. يُغْرِينَا: يولعنا.

(٦) الأَسَى: الحزن. التأسى: التعزي.

(٧) حَالَتْ: تغيرت.

وَإِذْ هَضَرْنَا فُتُونِ الْوَصْلِ دَائِيَّةً قِطَافُهَا، فَجَنَيْنَا مِنْهُ مَا شَيْنَا^(١)
لَيْسَقَ عَهْدُكُمْ عَهْدُ السَّرُورِ فَمَا كُنْتُمْ لِأَزْوَاجِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا
لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا إِذْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُجِيبِنَا
وَاللَّهِ مَا طَلَبْتَ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ، وَلَا انصَرَفْتَ عَنْكُمْ أَمَانِينَا

* * *

إن يطل ليلى

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُجِبًّا وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ^(٢)
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطِيئَةِ إِذْ شَيَّعَكَ^(٣)
يَا أَخَا الْبَدْرِ سَنَاءً وَسَنًا حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَعَكَ^(٤)
إِنْ يَطُلْ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بِتِ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

* * *

(١) هضر الغصن: جذبه وأماله.

(٢) ودع الصبر: أي: نفذ صبره.

(٣) يقرع السن: يحرقها ندمًا.

(٤) السناء: الإشعاع.

ابن سهل

هو أبو إسحق إبراهيم بن سهل الإشبيلي، ولد في إشبيلية سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، وأقام في سبتة بالمغرب الأقصى. أحب الشعر وقرضه. وكان يهوديًا فأسلم. وقيل: كان مع والي سبتة (ابن خلاص) في زورق، فانقلب بهما فغرقا، وذلك سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م مخلفًا وراءه ديوان شعر صغير يميّز بالركة والسهولة. من موشحاته:

هَلْ دَرَى ظَبْيُ الْجَمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّه عَنْ مَكْنَسٍ^(١)
فَهُوَ فِي حَرٍّ وَخَفَقٍ مِثْلَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالقَبَسِ^(٢)

* * *

يَا بُدُورًا أَطْلَعْتَ يَوْمَ النُّوَى غُرًّا تَسْلِكُ فِي تَهْجِ الغُرَزِ^(٣)
مَا لِقَلْبِي فِي الهَوَى ذَنْبٌ سِوَى مِنْكُمْ الحُسْنُ وَمِنْ عَيْنِي النُّظْرُ
أَجْتَنِي اللَّذَاتِ مَكْلُومَ الجَوَى وَالتِّذَاذِي مِنْ حَبِيبِي بِالفِكَرِ^(٤)

* * *

(١) حمى قلب صبّ: استقل به وحده. المكنس: مأوى الظبي. حلّه عن مكنس: أي حلّ في قلب الصب بدلًا من المكنس. الصب: العاشق.

(٢) القبس: النار.

(٣) النوى: البعد والافتراق. الغرة: بياض في الجبهة. الغرر: البياض.

(٤) المكلوم: الجريح. الجوى: شدة الوجد.

كُلَّمَا أَشْكُوهُ وَجَدِي بَسَمًا كَالرُّبَى بِالْعَارِضِ الْمُتَبَجِّسِ
إِذْ يُقِيمُ الْقَطْرُ فِيهَا مَاتَمًا وَهِيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرْسِ

* * *

غَالِبٌ لِي غَالِبٌ بِالشُّوْدَةِ بِأَبِي أَفْدِيهِ مِنْ جَافٍ رَقِيقِ
مَا رَأَيْنَا مِثْلَ ثَغْرِ نَضْدَةٍ أَفْحَوَانَا عُصْرَتْ مِنْهُ رَحِيقِ^(١)
أَخَذَتْ عَيْنَاهُ مِنْهُ الْعَرَبْدَةَ وَفَوَادِي سُكْرُهُ مَا إِنْ يُفِيقِ^(٢)

* * *

فَاجِمُ الْجُمَّةِ مَغْسُولُ اللَّمَى أَكْحَلُ اللَّحْظِ شَهِيُّ اللَّعْسِ^(٣)
وَجْهُهُ يَتَلَوُ الضُّحَى مُبْتَسِمًا وَهُوَ فِي إِغْرَاضِهِ فِي عَبَسِ^(٤)

* * *

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ ذُلِّي لَدَيْهِ لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهُوَ الْمُذْنِبُ
أَخَذَتْ شَمْسُ الضُّحَى مِنْ وَجَّتِيَّةِ مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبُ
ذَهَبَتْ أَدْمَعُ أَجْفَانِي عَلَيْهِ وَلَهُ خَدٌّ بِلَحْظِي مُذْهَبُ

* * *

يَنْبُتُ الْوَزْدُ بِغَرْسِي كُلَّمَا لَاحَظْتُهُ مُقْلَتِي فِي الْخُلْسِ
لَيْتَ شِغْرِي أَيُّ شَيْءٍ حَرَمًا ذَلِكَ الْوَزْدُ عَلَى الْمُغْتَرِسِ؟

* * *

(١) نضده: جمعه متناسقًا. الرحيق: الخمرة الصافية، أو الطيب.

(٢) العريدة: سوء الخلق.

(٣) الجمة: الشعر. اللمة: سمرة الشفاء. اللعس: سواد في الشفة.

(٤) الضحى وعبس: من سور القرآن الكريم.

كُلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حُرْقِي غَادَرْتَنِي مُقْلَتَاهُ دِنْفًا^(١)
تَرَكْتُ الْحَاظَةَ مِنْ رَمَقِي أَثَرَ النَّمْلِ عَلَى صُمِّ الصَّفَا^(٢)
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِيَ لَسْتُ أَلْحَاهُ عَلَى مَا أَتْلَفَا^(٣)

* * *

فَهُوَ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا وَعَذُولِي نُطْقُهُ كَالْخَرَسِ^(٤)
لَيْسَ لِي فِي الْحُبِّ حُكْمٌ بَعْدَمَا حَلَّ مِنْ نَفْسِي مَحَلُّ النَّفْسِ

* * *

مِنْهُ لِلنَّارِ بِأَخْشَائِي اضْطِرَامٌ يَلْتَظِي فِي كُلِّ حِينٍ مَا يَشَا
وَهِيَ فِي خَدَّيْهِ بَرْدٌ وَسَلَامٌ وَهِيَ ضَرٌّْ وَحَرِيقٌ فِي الْحَشَا^(٥)
أَتَّقِي مِنْهُ عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ أَسَدَ الْغَابِ وَأَهْوَاهُ رَشَا^(٦)

* * *

قُلْتُ لَمَّا أَنْ تَبَدَّى مُغْلَمَا وَهُوَ مِنَ الْحَاظَةِ فِي حَرَسِ
أَيُّهَا الْآخِذُ قَلْبِي مَغْنَمَا إِجْعَلِ الْوَضْلَ مَكَانَ الْخُمْسِ^(٧)

* * *

(١) الدنف: المعنى، المريض.

(٢) الصفا: ج الصفاة، وهي الصخرة الملساء.

(٣) ألحاه: أبغضه.

(٤) العذول: اللائم.

(٥) الحشا: القلب.

(٦) الرشا: الظبي الصغير.

(٧) الخمس: نصيب قائد الجيش من الغنيمة.

لسان الدين بن الخطيب

هو محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني الوزير والمؤرخ والشاعر. وُلد بغرناطة سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م. كان وزيراً لأبي الحجاج يوسف بن إسماعيل، ولما كثر حساده هرب إلى سبتة، ثم إلى تلمسان حيث أكرمه واليها السلطان عبد العزيز بن علي المريني. لُقّب بذي الوزارتين (القلم والسيف)، كما لقب بذي العُمرين، لأنه كان يشتغل بالتصنيف ليلاً، ويتدبير شؤون الوزارة نهاراً.

تعرض كثيراً للفسائس واتهم بالزندقة وحبس، وأخيراً مات خنقاً سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م تاركاً وراءه مؤلفات عدة منها: «الإحاطة في تاريخ غرناطة» و«الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية».

جاءك الغيث

جَآدَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى يَا زَمَانَ الْوَضْلِ بِالْأَنْدَلُسِ^(١)
لَمْ يَكُنْ وَضْلُكَ إِلَّا حُلْمًا فِي الْكَرَى أَوْ خِلْسَةِ الْمُخْتَلِسِ^(٢)

(١) جاءد: كثر. الغيث: المطر. همى: سقط.

(٢) الكرى: النوم.

فِي لَيَالٍ كَتَمْتَ سِرَّ الْهَوَى
مَالَ نَجْمِ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى
وَطَرٌ مَا فِيهِ مِنْ غَيْبِ سِوَى
حِينَ لَذَّ الْأُنْسُ شَيْئًا أَوْ كَمَا
غَارَتْ الشُّهُبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا
بِالدُّجَى لَوْلَا شُمُوسُ الْغَرَرِ
مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ
أَنَّهُ مَرَّ كَلَمَحِ الْبَصَرِ^(١)
هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومَ الْحَرَسِ
أَثَرَتْ فِيْنَا عُيُونُ النَّزْجِسِ

* * *

يَا أَهْلَ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْغَضَا
ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْفَضَا
فَاعِينُوا عَهْدَ أَنْسٍ قَدْ مَضَى
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَخْيُوا مُغْرَمَا
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا
وَبِقَلْبِي مَسْكَنٌ أَنْتُمْ بِهِ
لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
تَعْتَقُوا عَبْدَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ^(٢)
يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسٍ
أَفْتَرِضُونَ عَفَاءَ الْحَبَسِ^(٣)

* * *

وَبِقَلْبِي مِنْكُمْ مُقْتَرَبُ
قَمَرٍ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ
سَاحِرُ الْمُقْلَةِ مَغْسُولُ اللَّمَى
سَدَّدَ السَّهْمَ فَأَضْمَى إِذْ رَمَى
بِأَحَادِيثِ الْمُنَى وَهُوَ بَعِيدُ
شَقْوَةِ الْمُغْرَى بِهِ وَهُوَ سَعِيدُ
فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَغْدٍ وَوَعِيدِ^(٤)
جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالِ النَّفْسِ
بِفُؤَادِي نَبْلَةَ الْمُفْتَرِسِ^(٥)

* * *

(١) الوطر: الحاجة.

(٢) تعتقوا: تحرروا. الكرب: الحزن والأسى.

(٣) العفاء: الهلاك.

(٤) الوعيد: التهديد.

(٥) أضمى: أصاب فقتل.

إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابِ الْأَمَلِ فَفُؤَادُ الصَّبِّ بِالشُّوقِ يَذُوبُ
فَهَوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِمَحْبُوبٍ ذُنُوبُ
أَمْرُهُ مُغْتَمَلٌ مُمْتَثِلٌ فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَاهَا وَقُلُوبُ
حَكَمَ اللَّحْظُ بِهَا فَاحْتَكَمَا لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضِغَافِ الْأَنْفُسِ
يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَا وَمُجَازِي الْبِرِّ مِنْهَا وَالْمُسِي^(١)

* * *

مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشُّوقِ جَدِيدُ
جَلَبَ الْهَمُّ لَهُ وَالْوَصْبَا فَهَوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جَهْدٍ جَهِيدُ^(٢)
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا قَوْلُهُ: إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدُ
لَاعِجٌ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرِمَا فَهِيَ نَارٌ مِنْ هَشِيمِ الْيَبَسِ^(٣)
لَمْ يَدَغْ فِي مُهْجَتِي إِلَّا الدِّمَا كَبَقَاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الْغَلَسِ^(٤)

* * *

(١) المُسيبي: المُسيبي.

(٢) الوصب: التعب. الأشجان: الأحزان.

(٣) اللاعج: الحب المحرق.

(٤) الغلس: ظلمة آخر الليل.

علي الحصريّ

هو أبو الحسن عليّ بن عبد الغنيّ الفهرّي الحصريّ (١٠٠٠ - ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) شاعر ضريّر مشهور من أهل القيروان. انتقل إلى الأندلس، ومات في طنجة. اتصل ببعض الملوك، ومدح المعتمد بن عباد بقصائد، وألف له كتاب «المستحسن من الأشعار». له «ديوان شعر» بقي بعضه مخطوطاً، و«اقتراح القريح واجترّاح الجريح» مرتّب على حروف المعجم في رثاء ولد له، و«معشرات الحصري» في الغزل والنسيب^(١).

اشتهر بالموشّح الذي مطلعُه:

«يا لَيْلُ الصُّبِّ مَتَى غَدُهُ».

وفيما يلي نصّ هذا الموشّح.

يا لَيْلُ الصُّبِّ

يا لَيْلُ الصُّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقَدَ السُّمَارُ وَأَرْقَهُ أَسَفُ اللَّبَنِ يُرَدِّدُهُ
كَلِفَ بِغَزَالٍ ذِي هَيْفٍ صَوْتُ الْوَاشِينَ يُشَرِّدُهُ^(٢)

(١) الزركلي: الأعلام ٤/ ٣٠٠ - ٣٠١.

(٢) كَلِفٌ: مَوْلَعٌ مُتَيِّمٌ. هَيْفٌ: رَقَّةٌ الْخَصِرِ وَضُمُورُ الْبَطْنِ وَرَشَاقَةُ الْقَوَامِ.

نَصَبْتُ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكًا بِالنُّومِ، فَعَزَّ تَصِيدُهُ^(١)

صَاحِ وَالْخَمْرُ جَنَى فَمِهِ سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِبُهُ
يَنْضَوُ مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفًا وَكَأَنَّ نُعَاسًا يَغْمُدُهُ^(٢)
فَيُرِيْقُ دَمَ الْعَشَاقِ بِهِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ^(٣)
يَا مَنْ جَحَدْتَ عَيْنَاهُ دَمِي وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوَرَّدُهُ^(٤)
خَذَاكَ قَدْ أَغْتَرَفَا بِدَمِي فَعَلَامَ جَفَوْنِكَ تَجَحَّدُهُ؟
كَلَّا لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلْتَ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدَهُ
إِنِّي لِأُعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي وَأَظْنُكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ

(١) شَرَكًا: فخًا، مصيدة. عَزَّ: امتنع وصعب.

(٢) يَنْضَوُ: يَسْتَلُّ، وَيَتَنَزَّعُ.

(٣) يُرِيْقُ: يَسْفِكُ. يَتَقَلَّدُهُ: يَخْمَلُهُ.

(٤) جَحَدْتَ: أَنْكَرْتَ. تَوَرَّدَهُ: احمراره، والمقصود الإشارة إلى حُمْرَةِ دَمِ الْعَاشِقِ الْمَقْتُولِ.

المعتمد بن عباد

هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخميّ (٤٣١هـ / ١٠٤٠ - ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما، وأحد أفراد الدهر شجاعةً وحزمًا وضبطًا للأمور. كان مقصدًا للعلماء والشعراء والأمراء، وما اجتمع في باب أحد من ملوك عصره ما كان يجتمع في بابه من أعيان الأدب. وكان شاعرًا وكاتبًا. هزمه يوسف بن تاشفين صاحب مراکش، فأسره، وأودعه السجن في أغمات، وهي بلدة صغيرة وراء مراکش. فبقي في سجنه حتى مات. وللشعراء في اعتقاله وزوال ملكه قصائد كثيرة. له ديوان شعريّ. ومن شعره الوجدانيّ نكتطف ما يلي:

* * *

ولمّا وقفنا للوداع غُدِيَّةً وقد خفقت في ساحة القصر راياتُ
بكينّا دَمًا حتّى كأنّ عيوننا بجري الدموعِ الحمرِ منها جراحاتُ

* * *

لولا العيونُ من الواشين ترمُقني وما أحاذرُه من قول حراسِ
لزرْتُكم لا أكافيكم بجفوتكم مشيًا على الوجهِ أو سعيًا على الراسِ

* * *

دخلت عليه يومًا بناته، وهو في السجن، وكان يوم عيد، وكنّ يغزلن للناس بالأجرة في أغمات، حتّى إنّ إحداهنّ غزلت لبيت صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانه، فرآهنّ في أطمار رثة وحالة

سيئة، فصَدَّعْنِ قلبه، وأنشد:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساءَكَ العيدُ في أغماتِ مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعةً يغزلنَ للناس لا يملكنَ قمطيرا^(١)
برزنَ نحوكَ للتَّسليم خاشعةً أبصارهُنَّ حسيراتٍ مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافيةً كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

ومنها أيضا:

لا خذ إلا ويشكو الجذب ظاهره وليس إلا مع الأنفاسِ ممطورا
قد كان دهركَ إن تأمره مُمثلاً فردَّكَ الدهرُ منهياً ومأمورا
من بات بَعْدَكَ في مُلكٍ يُسرُّ به فإنما بات بالأحلام مغرورا
ودخل عليه وهو في تلك الحال ولده أبو هاشم، والقيود قد عضت
بساقيه عضَّ الأسود، والتوت عليه التواء الأسود السود، وهو لا يطيق
إعمال قدم، ولا يُريق دمعا إلا ممتزجا بدم، بعدما عهد نفسه فوق منبر
وسرير، وفي وسط جنة وحرير، تخفق عليه الألوية، وتشرق منه الأنديّة،
فلما رآه بكى وقال:

قَيْدِي أَمَا تَعْلَمَنِي مَسْلَمَا أَبَيْتَ أَنْ تَشْفُقَ أَوْ تَرْحَمَا
دَمِي شَرَابٌ لَكَ وَاللَّحْمُ قَدْ أَكَلْتَهُ، لَا تَهْشِمِ الْأَعْظَمَا
يَبْصُرْنِي فَيْكَ أَبُو هَاشِمٍ فَيَنْثَنِي وَالْقَلْبُ قَدْ هَشَمَا
أَرْحَمُ طُفَيْلًا طَائِشًا لُبُّهُ لَمْ يَخْشَ أَنْ يَأْتِيكَ مَسْتَرْحَمَا
وَأَرْحَمُ أَخِيَّاتٍ لَهُ مِثْلُهُ جَرَعَتْهُنَّ السَّمُّ وَالْعَلْقَمَا
مِنْهُنَّ مَنْ يَفْهَمُ شَيْئًا فَقَدْ خِفْنَا عَلَيْهِ لِلْبِكَاءِ الْعَمَى
وَالْغَيْرُ لَا يَفْهَمُ شَيْئًا فَمَا يَفْتَحُ إِلَّا لِرِضَاعٍ فَمَا

(١) القمطير: الشيء القليل من الدراهم وغيره.

الباب السابع:

من الشعر الوجداني
في العصر الحديث

أبو القاسم الشابي

شاعر تونسيّ مجيد، وُلد في قرية الشابة، جنوبي تونس، سنة ١٩٠٩. كان أبوه قاضيًا وشيخًا، فأخذ عنه أصول العربية والدين. في الحادية والعشرين من عمره أدخل مدرسة «جامع الزيتونة» في تونس، وهي مدرسة دينية شهيرة، فاعتنى به شيوخ المدرسة لما كان عليه من ذكاء وقاد، فتخرج بعد سبع سنوات شيخًا مثقفًا. ثم درس الحقوق، فنال إجازتها سنة ١٩٣٠. بيد أن الأعمال الأدبية لم تستهوه، فمال إلى الشعر، وراح يتصل بالأدباء والمفكرين، ويحرر المقالات ويغرف من معين الثقافة العربية والأجنبية، متأثرًا بالأدب المهجري، وخاصة جبران. كان يقرض الشعر ويرسله إلى جماعة «أبولو»، حيث كانوا ينشرونها في مجلتهم.

وكان لوفاة أبيه أثر كبير على حياته، وسرعان ما تسلل المرض إلى قلبه، فأوقفه عن الحركة، وهو ما زال في ريعان الشباب. توفي سنة ١٩٣٤ عن خمسة وعشرين عامًا.

السّامة

سَيِّمْتُ الْحَيَاةَ، وما في الحياة وما إن تَجَاوَزْتُ فَجَرَ الشَّبَابِ
سَيِّمْتُ اللَّيَالِي، وأوجاعها وما شَغَشَعْتُ من رَحِيقِ بَصَابِ

فَحَطَّمْتُ كَأْسِي، وَأَلْقَيْتُهَا
فَأَنْتَ، وَقَدْ غَمَرَتْهَا الدُّمُوعُ
وَأَلْقَى عَلَيْهَا الْأَسَى ثَوْبَهُ
فَأَيْنَ الْأَمَانِي وَالْحَانِئَهَا؟
لَقَدْ سَحَقَتْهَا أَكْفُ الظَّلَامِ
فَمَا الْعَيْشُ فِي حَوْمَةٍ بِأُسْهَا
كَئِيبٌ، وَجِيدٌ بِأَلَامِهِ
ذَوْتُ فِي الرَّبِيعِ أَزَاهِيرُهَا
لَوَيْنَ الثُّخُورَ عَلَى ذِلَّةٍ
فَحَالَ الْجَمَالُ، وَغَاضَ الْعَبِيرُ
يَوَادِي الْأَسَى وَجَحِيمِ الْعَذَابِ
وَقَرَّتْ، وَقَدْ فَاضَ مِنْهَا الْحُبَابُ
وَأَقْبَرَهَا الصَّمْتُ وَالْإِكْتِنَابُ
وَأَيْنَ الْكُؤُوسُ؟ وَأَيْنَ الشَّرَابُ
وَقَدْ رَشَفَتْهَا شِفَاهُ السَّرَابِ
شَدِيدٌ، وَصَدَّاحُهَا لَا يُجَابُ
وَأَخْلَامِهِ، شَذْوُهُ الْإِنْتِحَابُ
فَنِمْنٌ، وَقَدْ مَصَّهْنُ الثَّرَابِ
وَمُثْنٌ، وَأَخْلَامُهُنَّ الْعِذَابُ
وَأَذْوَى الرَّدَى سِخْرَهُنَّ الْعُجَابُ

* * *

شكوى اليتيم

على ساحلِ البحرِ أينَ يَضِجُ صُراخُ الصِّبَاخِ ونوحُ المِسا
تَنَهَّدْتُ مِنْ مَهْجَةٍ أَتْرَعْتُ بَدْمَعَ الشَّقَاءِ وَشَوْكَ الْأَسَى^(١)
فَضَاعَ التَّنَهُّدُ فِي الضَّجَّةِ
بِمَا فِي ثَنَائَاهُ مِنْ لَوْعَةٍ^(٢)
فَسِرْتُ وَنَادَيْتُ: «أَيَا أُمِّ هَيَّا
إِلَيَّ فَقَدْ سَيِّمَتْنِي الْحَيَاةُ»

* * *

(١) أترعت: ملئت.

(٢) ثناياه: داخله.

وجئتُ إلى الغابِ أسْكُبُ أَوْجَا عَ قلبي نحيبًا كَلَفَحِ اللهبِ^(١)
نحيبًا تَرَفَّرَقَ في مُهْجَتِي وسالَ يَرْنُ يَنْدُبِ القلوبِ^(٢)
فَلَمْ يَفْهَمِ الغابُ أَشْجَانَهُ
وظلَّ يَرْدُدُ أَلْحَانَهُ
فسرْتُ وناديتُ: «أيا أمَّ هيا
إليَّ فقد عذبتني الحياة»

وقفتُ على النهرِ أَهْرَقُ دَمْعًا تَفْجَّرُ من فَيْضِ حُزْنِي الأليمِ^(٣)
يسيرُ بصَمْتٍ على وَجْنَتِي وَيَلْمَعُ مثلَ دموعِ الجحيمِ^(٤)
فما خَفَّفَ النهرُ من عَذْوِهِ^(٥)
ولا سَكَّتِ النهرُ عن شَدْوِهِ^(٦)
فسرْتُ وناديتُ: «أيا أمَّ هيا
إليَّ فقد أضجرتني الحياة»

ولمَّا نَدَبْتُ ولم يَنْفَعِ وناديتُ أُمِّي فلم تَسْمَعْ^(٧)
رَجَعْتُ بحزني إلى وحدتي وَرَدَّدْتُ نَوْمي على مسمعي

(١) النحيب: البكاء. لفح اللهب: إحراقه.

(٢) يرْنُ بالندب: يبكي بصوت عال.

(٣) أهرق: أصب. فيض حزني: شدة حزني.

(٤) الوجنة: الخد.

(٥) العذو: السير السريع.

(٦) الشدو: الغناء.

(٧) ندبت: بكيت بصوت مرتفع.

وعانقتُ في وُحْدَتِي لَوَعَتِي
وقلت لنفسي: «ألا فاسكتي»

* * *

في ظلِّ وادي الموتِ

نحنُ نَمْشِي، وَحَوْلَنَا هَاتِيهِ الْأَكْوَا
ن نَمْشِي... لَكِنْ لِأَيِّ غَايَةٍ؟
نحنُ نَشْدُو مَعَ الْعَصَافِيرِ لِلشَّمْسِ
وَهَذَا الرَّبِيعُ يَنْفُخُ نَائِهِ
نحنُ نَتْلُو رِوَايَةَ الْكَوْنِ لِلْمَوْتِ
وَلَكِنْ مَآذَا خِتَامُ الرِّوَايَةِ؟
هَكَذَا قُلْتُ لِلرِّيَّاحِ فَقَالَتْ:
«سَلْ ضَمِيرَ الْوُجُودِ: كَيْفَ الْبِدَايَةُ؟»

* * *

وتَغَشَّى الضَّبَابُ نَفْسِي فَصَاحَتْ
في مَلَالٍ^(١) مُرٌّ: «إِلَى أَيْنَ أَمْشِي؟»
قُلْتُ: «سِيرِي مَعَ الْحَيَاةِ» فَقَالَتْ:
«مَا جَنِينًا، تُرَى، مِنْ السَّيْرِ أَمْسِ؟»
فَتَهَافَتُ كَالْهَشِيمِ عَلَى الْأَرْضِ

(١) المَلال: المَلَل.

وَنَادَيْتُ: أَتَيْنَ يَا قَلْبُ رَفْشِي؟
هَاتِهِ، عَلَّيْ أَخْطُ ضَرِيحِي
فِي سَكُونِ الدُّجَى وَأَذْفُنْ نَفْسِي

هَاتِهِ فَالظَّلَامُ حَوْلِي كَثِيفٌ...
وَضَبَابُ الْأَسَى مَنِخٌ عَلَيَّ...
وَكُؤُوسُ الْعَرَامِ أَثَرُهَا الْفَجْرُ،
وَلَكِنْ تَحَطَّمَتْ فِي يَدَيَّ...
وَالشَّبَابُ الْغَرِيرُ وَلَّى إِلَى الْمَاضِي
وَحَلَّى النَّحِيبَ فِي شَفَتَيَّ،
هَاتِهِ، يَا فَوَادُ إِنَّا غَرِيبَانِ،
نَصُوغُ الْحَيَاةَ فَنَّا شَجِيحَا

قَدْ رَقَضْنَا مَعَ الْحَيَاةِ طَوِيلًا
وَشَدَوْنَا مَعَ الشَّبَابِ سِينِينَا
وَعَدَوْنَا مَعَ اللَّيَالِي حُفَاءَ
فِي شَعَابِ الْحَيَاةِ حَتَّى دَمِينَا
وَأَكَلْنَا التَّرَابَ حَتَّى مَلَلْنَا
وَشَرِبْنَا الدُّمُوعَ، حَتَّى رَوِينَا
وَنَثَرْنَا الْأَخْلَامَ وَالْحَبَّ وَالْآلَامَ

وَالْيَاسَ، وَالْأَسَى، حَيْثُ شِينَا

* * *

ثُمَّ مَاذَا؟ هَذَا أَنَا: صِرْتُ فِي الدُّنْيَا
بَعِيدًا عَنْ لَهْوِهَا وَغِنَاهَا
فِي ظِلَامِ الْفَنَاءِ، أَذْفَنُ أَيَّامِي
وَلَا أَسْتَطِيعُ حَتَّى بُكَاهَا
وَزُهُورُ الْحَيَاةِ تَهْوِي، بِصَمْتٍ
مُحْزِنٍ، مُضْجِرٍ، عَلَى قَدَمَيَّ
«جَفَّ سِخْرُ الْحَيَاةِ، يَا قَلْبِي الْبَاكِي
فَهَيَّا، نَجْرِبِ الْمَوْتَ... هَيَّا...»

* * *

الشاعر القروي

هو الشاعر رشيد سليم الخوري، ولد في البرbare، وهي قرية ساحلية لبنانية سنة ١٨٨٧. تلقى علومه في عدة مدارس منها «المدرسة الأميركية» في بيروت. انصرف إلى التعليم ردحاً من الزمن، ثم هاجر إلى البرازيل سنة ١٩١٣ حيث عمل بالتجارة دون أن ينقطع عن الأدب والشعر. وظلّ حينه يشده إلى وطنه.

من آثاره: «الرشديات»، و«القرويات»، و«ديوان الشاعر القروي».

* * *

شكوى الغريب

قُضِيَ الصبابةُ وانقضى الأمرُ	يا ناكثاً عهدِي لك الشكرُ ^(١)
ما ضرّني هجرُ الحبيبِ ومَن	هَجَرَ الهوى ما ضرَّه الهجرُ
ناءٍ عن الأوطانِ يَفْصِلُنِي	عَمَّنْ أَحِبُّ البرَّ والبحرُ ^(٢)
في وحشةٍ لا شيءٍ يُؤنسُها	إلا أنا والوجدُ والشَّغَرُ
حولي أعاجمُ يَرْطُنونُ فما	للضادِ عند لسانهم قَدْرُ ^(٣)

(١) ناكث العهد: ناقض الوفاء.

(٢) النائي: البعيد.

(٣) يرطنون: يتكلمون بالأعجمية. الضاد: من أحرف اللغة العربية، وسميت العربية به لتفرد بها به.

لو عاش بينهم أبْنُ ساعدة
 ناسٌ ولكن لا أنيسَ بهم
 الشمسُ للأكوانِ ضاحكةٌ
 والطيرُ تُرسلُ شذوها طرباً
 أما أنا والهَمُّ كَيْلَنِي
 عجباً وكم في الأرضِ من عجبٍ
 لا تَغْتَبِنُ الدهرَ في كدرٍ
 ما دُفْتُ من فرحٍ ومن ترحٍ
 لا تبطرن ولا تمت جزعاً
 ضوء النهارِ تشوبه سحبٌ
 لقضى ولم يُسمِعْ له ذكرٌ^(١)
 ومدينةٌ لكتّها قفرٌ
 عن باهرِ الألوانِ تفتُرُ^(٢)
 فيجيبها بخيرهِ النهرُ
 صخرٌ يُحسُّ وليتني صخرٌ
 بين السعادةِ والشقا فثرٌ
 إنَّ المسبَّبَ أنتَ لا الدهرُ^(٣)
 هو منك فالدنيا هي الصدرُ^(٤)
 لا الخيرُ مُكْتَمِلٌ ولا الشرُّ^(٥)
 وتلوح في جُحِّ الدجى الزُّهرُ^(٦)

يا نَسِيمَ البحر

يا نَسِيمَ البَحْرِ البَلِيلَ سَلامٌ
 إنْ تَكُنْ ما عَرَفْتَنِي فَلَكِ
 أَوْلا تَذْكُرُ الغُلامَ رَشِيداً؟
 طالما زُرْتَنِي إِذا انْتَصَفَ اللَّيْلُ
 وَرَفَعْتَ الغِطاءَ عَنِّي قَلِيلاً
 زارَكَ اليَوْمَ صَبُّكَ المُسْتَهامُ
 العُذْرُ، فَقَدْ غَيَّرَ المُحِبُّ السَّقامُ
 إِنني يا نَسِيمُ ذاكَ الغُلامُ
 بِلُبْنانٍ والأَنامِ نِيامُ
 فأحسَّتْ بِمَرْجِكَ الأقدامُ

(١) ابن ساعدة: أحد خطباء الجاهلية.

(٢) تفتُر: تضحك.

(٣) الكدر: الحزن والأسى.

(٤) الفرح: ضد الترح. الصدر: أول الشيء.

(٥) تبطر: تتكبر عند حلول النعمة. الجزع: الخوف.

(٦) تشوبه: تخالطه. الدجى: الظلام. الزهر: النجوم.

وَتَنَبَّهْتُ فَاتِحًا لَكَ صَدْرًا
فَتَغْلَغَلْتُ فِي الْأَضَالِيعِ أَنْفَاسًا
وَلَشَمَمْتُ الْفُؤَادَ ثَغْرًا لِشَجَرٍ
يَا نَسِيمَ الْمُحِيطِ مَا هَكَذَا فِي
أَنْتَ إِنْ زُرْتَ فِي الْمَنَامِ صَحِيحًا
مُشَبَّعٌ بِالْبُخَارِ رُوحٌ ثَقِيلٌ
لَسْتَ ذَاكَ الَّذِي عَهِدْتُ يَفُوحُ
ذَاكَ أَزْكَى شَمًّا وَالْطَفُّ ضَمًّا
يَا لَشَوْقِي إِلَى مَحَاسِنِ قَطْرِ
وَكُرُومِ إِنْ مَرَّ فِيهَا غَرِيبٌ
لَوْ قَضَمْتُ الرَّغِيفَ فِيهِ قَفَارًا
أَيُّهَا النَّازِحُونَ عَوْدًا إِلَيْهِ
كُلَّ حَيٍّ إِلَى الشَّامِ سَيَمْضِي

شَبَّ فِيهِ إِلَى لِقَاكَ ضِرَامٌ
لِطَافًا تَهْفُو إِلَيْهَا الْعِظَامُ
وَلَكُمْ حَجَبَ الثُّغُورِ لِشَامٍ
سَاحِلِ الْبَحْرِ عِنْدَنَا الْأَنْسَامُ
غَلَّغَلْتُ فِي عِظَامِهِ الْأَسْقَامُ
بَارِدٌ تَسْتَعِيدُ مِنْكَ الْمَسَامُ^(١)
الشَّيْخُ إِنْ جَرَّ ذَيْلَهُ وَالْثَمَامُ^(٢)
ذَاكَ تُشْفَى بِلَمْسِهِ الْأَجْسَامُ
هَبَطَ الْوَحْيُ فِيهِ وَالْإِلْهَامُ
يَتَوَارَى مِنْ وَجْهِهِ الْكَرَامُ
فَالرُّضَى وَالسُّرُورُ نِعَمَ الْأَدَامُ^(٣)
حَالَمَا يَسْتَتِيبُ فِيهِ السَّلَامُ
حِينَ يُفْضَى إِنْ السَّمَاءُ شَامُ

* * *

(١) تستعيد: تقول: أعود بالله من الشيطان الرجيم.

(٢) الشيخ والثمام: نوعان من الشجر.

(٣) رغيف قفار: خبز من غير أدام.

الأخطل الصغير

هو بشارة عبدالله الخوري، شاعر لبناني، ولد في بيروت سنة ١٨٩٠. شَبَّ على حبِّ العلم. تعلَّم في مدرسة «الثلاثة أقمار»، ثم في مدرسة الحكمة حيث تخرج فيها.

في سنة ١٩٠٨ أنشأ جريدة «البرق» الأسبوعية، وقد تحوّلت إلى يومية بعد الحرب العالمية الأولى. وفي هذه الفترة كان ينظم قصائده بتوقيع: «الأخطل الصغير». فذاع صيته في الأقطار العربية، فسافر إلى بغداد لتأبين الملك فيصل بن الحسين، وإلى القاهرة للمشاركة في المهرجان الذي أقيم لأمر الشعراء أحمد شوقي والزهاوي، وإلى دمشق لتأبين فوزي الغزي، كما عين مستشاراً فنياً للغة العربية في وزارة التربية الوطنية في بيروت.

توفي سنة ١٩٦٨، مخلفاً وراءه: «الهوى والشباب»، و«ديوان الأخطل الصغير».

* * *

كيف أنسى

كَيْفَ أَنْسَاكَ يَا خَيَالَاتِ أَمْسِي ذِكْرِيَّاتِ الصُّبَا وَأَخْلَامَ نَفْسِي
كَيْفَ أَنْسَى الْأَيَّامَ صَفْوًا وَأَنْسَا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

مِي هَلَا ذَكَرْتَ تِلْكَ السَّنِينَ بِأَبِي أَنْتَ كَيْفَ لَا تَذْكُرِينَا؟
كَمْ نَشِيقْنَا تُقَى هُنَاكَ وَقَدْ سَا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

أَفَلَا تَذْكُرِينَ ذَاكَ الْغَدِيرَا وَالْأَفَانِينَ حَوْلَهُ وَالزُّهُورَا
وَالسُّنُونُو يُحَدِّثُ الْمَاءَ هَمْسَا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

أَفَلَا تَذْكُرِينَ عِنْدَ الْمَغِيبِ يَوْمَ وَافَتْ سَلَمَى كَطِيرٍ غَرِيبٍ
فَارْتَنَا إِذْ غَابَتِ الشَّمْسُ شَمْسَا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

يَوْمَ كُنَّا فِي الْحَقْلِ نَمْرُحُ زَهْوَا وَسَلِّمَى مَعْنَا وَهِنْدُ وَسَلَوَى
فَصَرَفْنَا النَّهَارَ قَطْفًا وَغَرْسَا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

يَوْمَ كُنَّا نَقْرَأُ هِجَاءً وَكَرَجَا وَسَلِّمَى تَمَحُّو الْأَسَاطِيرَ غُنَجَا
وَهِيَ تُمْلِي عَلَيَّ فِي الْحَبِّ دَرْسَا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

يَوْمَ سَمَّى الرَّفَاقُ سَلَمَى عَرُوسَا وَأَرَادُوا بِأَنْ أَكُونَ الْعَرِيسَا
فَاعْتَنَقْنَا وَقَدْ جَعَلْنَاهُ عُرْسَا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

كَيْفَ أَنْسَى وَقَدْ كَبِرْنَا قَلِيلَا وَذَكَّرْنَا مَا كَانَ ذِكْرًا جَمِيلَا
وَعَرَفْنَا الدُّنْيَا نَعِيمًا وَبُؤْسَا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

لَسْتُ أَنْسَى مَا عِشْتُ يَوْمَ الْفِرَاقِ وَجِرَاحًا حُمْرًا بِتِلْكَ الْمَاقِي
وَبُكَاهَا وَقَوْلَهَا سَوْفَ تَنْسَى كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

مَنْ مُعِيدٌ إِلَيَّ ذَاكَ الزَّمَانَا وَمُعِيدٌ سَلَمَى إِلَيَّ الْآنَا
لِتَرَى أَنَّنِي وَقَدْ مِتُّ يَأْسَا لَسْتُ أَنْسَى؟

* * *

بدر شاكر السيّاب

هو أديب عراقيّ مجيد، ولد في قرية «جيكور» في جنوب العراق سنة ١٩٢٦، توفيت أمه وهو حدث. وكان في أثنائها شديد التعلّق بها. وكم كانت الصدمة قويّة عندما تزوّج والده ثانية، فترك بيته الأبوي ليعيش مع جدّته لأُمّه.

تلقّى علومه الأولى في مدرسة باب سليمان الابتدائيّة بأبي الخصيب، ثم في مدرسة البصرة الثانويّة، وقيل إنّهُ نظم الشعر وهو في المرحلة الابتدائيّة.

تخرّج في دار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٤٨ حيث تضرّع باللغة الانكليزيّة والعربيّة.

كانت حياته ألماً بألم: حُرّم حنان الأم وهو صغير، وعاش حياة بؤس وشقاء، أضف إلى ذلك المرض الذي أودى بحياته في الكويت، مخلفاً بعض الدواوين، من أشهرها: «أزهار وأساطير»، و«المعبد الغريق»، و«أنشودة المطر».

* * *

على الراية

وَحِيدًا! هُنَاكَ.. عَلَى الرَّايَةِ
أَعْدُدُ أَيَّامِي الذَّاهِبَاتِ
وَجَدَّدَتِ الْحُزْنَ لِي دَمْعَةً
عَرَفْتُ بِهَا قِصَّتِي فِي الْحَيَاةِ
لَهَا بَيْنَ عَيْنِي وَبَيْنَ الثَّرَى
فَلِي مِثْلُهَا سَفَرَةٌ فِي غَدَا!!
شَكُوْتُ إِلَى اللَّيْلِ جَوْرَ الْحَيَاةِ
فَقَالَ: وَإِنِّي أَسِيرٌ وَتِلْكَ
فَقُلْتُ: وَرُوحِي بِذُلِّ الْأَسَارِ^(١)
فَمَا خَفَقَاتُ فُؤَادِي سِوَى
شَكُوْتُ إِلَى اللَّيْلِ جَوْرَ الْغَرَامِ
فَقَالَ: وَإِنِّي أَحِبُّ النَّهَارَ
كِلَانَا يُفْتَشُّ عَنْ إِلْفِهِ...
فَقُلْتُ وَفِي الْقَلْبِ مِنْ حُبِّهِ
قَسِيمِي بِمَا أَشْتَكِيهِ الدُّجَى
وَقَرَّتْ عَلَى وَجْنَتِي الصَّبَا

جَلَسْتُ أَبْتُ الدُّجَى مَا بِيَه
فَأَبْكِي لِأَيَّامِي الْبَاقِيَه
مُحَيَّرَةٌ بَيْنَ أَهْدَابِيَه
وَتَضْلِيلِ رُوحِي وَآمَالِيَه
مَسِيلٌ عَلَى وَجْنَةٍ ذَاوِيَه
وَلِي مِثْلُهَا قِصَّةٌ دَامِيَه
فَارْتَدَّ يَشْكُو أَذَاهَا لِيَه
النُّجُومُ الْمُضِيئَاتُ أَغْلَالِيَه
رَمَتْهَا قَوَى الْجَسَدِ الْعَاثِيَه
رَيْنِ سَلَسِلِهَا الْقَاسِيَه
فَأَرْسَلَ آهَاتِهِ الْبَاكِِيَه
وَيَعْشَقُ أَطْرَافِي السَّاجِيَه^(٢)
وَكُلُّ تَفَرُّقٍ فِي نَاحِيَه
نَوَاطِيرُ تَحْلُمُ بِالرَّاعِيَه
فَهَيْهَاتَ أَنْ أَشْتَكِي ثَانِيَه
مُكَفِّفَةٌ أَذْمُعِي الْجَارِيَه

* * *

(١) الأسار أو الإِسَار: هو القيد.

(٢) السَّاجِيَه: السَّائِكَةُ.

الياس أبو شبكة

شاعر لبنانيّ، ولد في أميركة سنة ١٩٠٣ أثناء رحلة لوالديه فيها. نشأ في «زوق مكايل» (قضاء كسروان)، تلقى علومه في معهد «عينطورة» وظلّ فيه إلى أن وقعت الحرب الكونية الأولى سنة ١٩١٤.

في أثناء الدراسة، فُجع بموت أبيه، فتأثر بذلك كثيرًا، ممّا أورثه الحقد على القدر.

انصرف إلى الترجمة والتحرير في الصحف، وإلى مطالعة آثار كبار الأدباء من عرب وأجانب. كما عمل في حقل التدريس. ولكن العمل الصحفي استهواه أكثر من غيره.

كان أحد مؤسسي «عصبة العشرة»، وهي جمعية أدبية من أعضائها كرم ملحم كرم، وخليل تقي الدين، وتوفيق عوّاد وسواهم.

توفي سنة ١٩٤٧ بعد أن أرهقه المرض تاركًا وراءه شعرًا ونثرًا ومترجمات، منها: «القيثارة»، و«أفاعي الفردوس»، و«لبنان في العالم»، و«تاريخ نابوليون»، و«بول وفرجينى».

* * *

إِجْرَحِ الْقَلْبَ

إِجْرَحِ الْقَلْبَ وَاسْقِ شَعْرَكَ مِنْهُ
مصدرُ الصدقِ في الشعورِ هو القلبُ
وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُعَذِّبْ وَتَغَيِّسْ
فَقَوَافِيكَ زَخْرَفْ وَبَرِّقْ
وَإِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَرْقُقْ بِحُبِّ
وَالْهَوَى دُونَ أَكْبَدٍ لَيْسَ يَحْيَا
ضَحٌّ بِالْقَلْبِ إِنْ هَوَيْتَ
يَا لَهَا فِي الْهَوَى وَلِيْمَةٌ قَلْبِ
رَبِّ جَرَحٍ قَدْ صَارَ يَنْبُوعُ شَعْرِ
وَزَفِيرِ أَمْسَى - إِذَا قَدَّسَتْهُ الرُّوحُ -
فَدُمُ الْقَلْبِ خَمْرَةُ الْأَقْلَامِ
وَفِي الْقَلْبِ مَهْبِطُ الْإِلْهَامِ
قَلَمًا فِي قِرَارَةِ الْآلَامِ
كَعِظَامٍ فِي مَدْفِنٍ مِنْ رِخَامِ^(١)
حَجَرَتْهُ ضِغَائِنُ الْأَيَّامِ^(٢)
فَغِذَاءُ الْهَوَى مِنْ الْأَجْسَامِ
فَلَيْسَ الْقَلْبُ إِلَّا وَلِيْمَةٌ لِلْغَرَامِ^(٣)
سَوْفَ يَبْقَى لَهَا صَدَى فِي الْأَنَامِ^(٤)
تَلْتَقِي عِنْدَهُ النُّفُوسُ الظُّوَامِي^(٥)
ضَرْبًا مِنْ أَقْدَسِ الْأَنْغَامِ

* * *

(١) زخرف: زينة.

(٢) ضغائن: أحقاد.

(٣) وليمة: طعام.

(٤) الأنام: الناس.

(٥) الظوامي: العطاش.

خليل مطران

هو خليل بن عبده مطران شاعر القطرين (لبنان ومصر). ولد في مدينة بعلبك سنة ١٨٧٢، في بيت غساني الأصل، محافظ على التقاليد العربية. كان أبوه يعمل بالزراعة والتجارة. وكانت أمه مغرمة بالشعر كوالدتها. تلقى دروسه الأولى في زحلة، ثم انتقل إلى بيروت حيث تلقى علومه الثانوية في المدرسة البطريركية. درس العربية على يد الشيخين خليل اليازجي وأخيه إبراهيم.

أحب الشعر ونظم فيه، واطّلع على الأدب الأجنبي فأحبه. هجر لبنان خوفاً من الأتراك إلى باريس، ثم إلى مصر حيث تولّى إنشاء جريدة «الأهرام»، وأسهم في إنشاء «المؤيد»، و«المجلة المصرية»، ثم أنشأ «الجوائب المصرية»، وهي جريدة يومية لم تعش طويلاً.

تعاطى التجارة، فكانت خسارته فادحة، فعكف على نظم الشعر، فأنحف الأدب بروائعه الفريدة، كقصيدة: «المساء»، و«الأسد الباكي»، و«النيرونية»، وسواها.

توفي سنة ١٩٤٩.

* * *

المساء

داءٌ أَلَمَ حَسِبْتُ فِيهِ شِفَائِي من صَبَوْتِي فَتَضَاعَفَتْ بُرَحَائِي ^(١)
 يَا لِلضَّعِيفَيْنِ اسْتَبَدَّ بِي وَمَا فِي الظُّلَمِ مِثْلُ تَحْكُمِ الضُّعْفَاءِ ^(٢)
 قَلْبٌ أَذَابَتْهُ الصَّبَابَةُ وَالْجَوَى وَغَلَالَةٌ رَثَتْ مِنْ الْأَدْوَاءِ ^(٣)
 وَالرُّوحُ بَيْنَهُمَا نَسِيمٌ تَنْهَدُ فِي حَالِي التَّصَوُّبِ وَالصُّعْدَاءِ ^(٤)
 وَالْعَقْلُ كَالْمَصْبَاحِ يَغْشَى نُورُهُ كَدَّرِي وَيُضْعِفُهُ نَضُوبُ دِمَائِي
 إِنِّي أَقَمْتُ عَلَى التَّعَلَّةِ بِالْمَنَى فِي غَرَبَةٍ قَالُوا تَكُونُ دَوَائِي ^(٥)
 إِنَّ يَشْفِي هَذَا الْجِسْمَ طِيبُ هَوَائِهَا أَيْلَاطُ النَّيْرَانِ طِيبُ هَوَائِ
 أَوْ يُمْسِكِ الْحَوْبَاءَ حَسَنُ مَقَامِهَا هَلْ مَسَكَةٌ فِي الْبُعْدِ لِلْحَوْبَاءِ ^(٦)
 عَبْتُ طَوَافِي فِي الْبِلَادِ وَعِلَّةٌ فِي عِلَّةٍ مَنَفَايَ لِأَسْتِشْفَاءِ ^(٧)
 مَتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي مَتَفَرِّدٌ بِكَأَبَتِي مَتَفَرِّدٌ بِعَنَائِي
 شَاكَ إِلَى الْبَحْرِ أَضْطِرَابَ خَوَاطِرِي فَيُجِيبُنِي بِرِيَاكِ الْهُوجَاءِ ^(٨)
 ثَاوٍ عَلَى صَخْرٍ أَصَمٍّ وَلَيْتَ لِي قَلْبًا كَهَذَا الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
 يَنْتَابُهَا مَوْجٌ كَمَوْجٍ مَكَارِهِي وَيَفْتُهَا كَالسُّقْمِ فِي أَعْضَائِي ^(٩)

(١) الصبوة: الميل إلى الفتوة، البرحاء: الأذى والمشقة.

(٢) الضعيفان: هما مرض الجسم ومرض القلب.

(٣) الصبابة: الحب الشديد، الجوى: حرقة الفؤاد، الغلالة: ما يلي الجسد من الثياب، رثت: بليت.

(٤) التصويب والصعداء: حركتا التنفس، أي: الشهيق والزفير.

(٥) التعلّة: ما يُتعلل به.

(٦) الحوباء: الروح.

(٧) الطواف: التجوال.

(٨) الهوجاء: الشديدة.

(٩) المكاره: ما يكرهه الإنسان، ينتابها: يصيبها مرة بعد مرة، السقم: المرض.

والبحرُ خفاقُ الجوانبِ ضائقُ
تَغشى البريةَ كُذرةً وكأَنَّها
والأفقُ مُعْتَكِرٌ قريحُ جفئه
يا لِلْغُرُوبِ وما به من عَبرةٍ
أوليسَ نزْعًا للنهارِ وصرعةً
أوليسَ محوًا للوجودِ إلى مدى
حتى يكونَ النورُ تجديدًا لها
ولقد ذكركَ والنهارُ مودّعٌ
وخواطري تبدو تُجاءَ نواظري
والدمعُ من جَفَنِي يسيلُ مشعشعًا
والشمسُ في شفقٍ يسيلُ نُضارُه
مرّت خلالَ غمامتين تحدّرًا
فكأنَّ آخرَ دَمعةٍ للكونِ قد

كَمَدًا كَصَدْرِي ساعةَ الإِمْساءِ^(١)
صَعِدَتْ إلى عينيَّ من أحشائي^(٢)
يُغْضِي على الغَمراتِ والأَقْداءِ^(٣)
لِلْمُسْتَهَامِ وَيَبْرَةِ لِرِثائي^(٤)
لِلشَّمْسِ بين جَنَازَةِ الأَضواءِ^(٥)
وإِبَادَةِ لِمَعَالِمِ الأشياءِ^(٦)
وَيَكُونُ شَبهَ البعثِ عَوْدُ ذُكَا^(٧)
وَالقَلْبُ بين مَهَابَةِ ورجاءِ
كَلَمَى كَدَامِيَةِ السحابِ إِزائي^(٨)
يَسْنَا الشَّعاعِ الغارِبِ المِثْرائي^(٩)
فوق العقيقِ على ذَرَى سَوْداءِ^(١٠)
وَتَقَطَّرَتْ كالدَمعةِ الحَمراءِ^(١١)
مُزِجَتْ بِأَخْرِ أَدْمَعِي لِرِثائي

(١) خفاق: مضطرب. الكمد: الحزن.

(٢) الكدرة: الغشاوة، أو السواد.

(٣) قريح: جريح. معتكِر: شديد السواد. يغضي: يطبق جفنيه. الغمرات: الشدائد. الأقداء: ج القذى، وهو ما يدمع العين.

(٤) العبرة: الدمعة. العبرة: العظة.

(٥) النزع: حالة المريض المشرف على الموت. الاحتضار.

(٦) معالم: رسوم.

(٧) ذكاء: الشمس.

(٨) كلمى: جريحة.

(٩) مشعشعًا: ممزوجًا. السنا: الضياء. المِثْرائي: المعكوس على صفحة البحر.

(١٠) الشفق: بقية ضوء الشمس. النضار: الذهب. العقيق: الخرز الأحمر.

(١١) التحدر: النزول.

وكأني أنستُ يومي زائلاً فرأيتُ في المرأة كيف مسائي^(١)

الأسد الباكي

دَعَوْتُكَ أَسْتَشْفِي إِلَيْكَ فَوَافِنِي
فَإِنْ تَرَنِي وَالْحُزْنَ مِلْءُ جَوَانِحِي
وَكَمْ فِي فَوَادِي مِنْ جراح ثَخِينَةٍ
إِلَى «عَيْنِ شَمْسٍ» قَدْ لَجَأْتُ وَحَاجَتِي
أَسْرِي هُمُومِي بِأَنْفِرَادِي أَمِنًا
يَخَالُونَ أَنِّي فِي مَتَاعِ حَيَالِهَا
أَرَى رَوْضَةً لِكِنِّهَا رَوْضَةُ الرَّدَى
وَأَنْظُرُ مَنْ حَوْلِي مُشَاءً وَرُكْبًا
كَأَنِّي فِي رُؤْيَا يَزُقُّ الْأَسَى بِهَا
وَمَا «عَيْنُ شَمْسٍ» غَيْرُ مَا ارْتَجَلَ النُّهَى
بَنَوَهَا فَأَغْلَوْهَا وَمَا هُوَ غَيْرَ أَنْ
بَدَتْ إِرْمُ ذَاتِ الْعِمَادِ كَأَنَّهَا
كَفَفَتْهَا لَيَالٍ نَزْرَةٌ فَتَجَدَّدَتْ
وَغَالَطَ فِيهَا الْبَعْثُ مَا خَالَطَ الْحَلَى
هُنَاكَ أُبَيِّحُ الشَّجْوُ نَفْسًا مَنِيعَةً

عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْكَ أَنَّكَ لِي آسِي^(٢)
أَدَارِيهِ فَلْيَغْرُزْكَ بِشِرِّي وَإِنِّي آسِي
يُحَجِّبُهَا بُرْدَايَ عَنْ أَغْنِ النَّاسِ
طَلَاقُهُ جَوْ لَمْ يُدَنَّ بِأَرْجَاسِ
مَكَائِدَ وَاشِ أَوْ نَمَائِمَ دَسَاسِ
وَأَيُّ مَتَاعٍ فِي جَوَارِ لِدِيمَاسِ^(٣)
وَأُضْغِي وَمَا فِي مَسْمَعِي غَيْرُ وَسْوَاسِ
عَلَى مُزْجِيَّاتٍ مِنْ دُخَانٍ وَأَفْرَاسِ^(٤)
طَوَائِفَ جِنِّ فِي مَوَاكِبِ أَغْرَاسِ
يَقْفِرُ جَدِيبٍ مِنْ مَبَانٍ وَأَغْرَاسِ
جَرَتْ أَحْرَفُ مَرْسُومَةٍ فَوْقَ قِرْطَاسِ
مِنَ الْقَاعِ شَدَّتْهَا التُّجُومُ بِأَمْرَاسِ^(٥)
ثَوَابِتَ أَرْكَانٍ رَوَّاسِخَ آسَاسِ
بِهَا مِنْ ضُرُوبٍ مُخَدَّنَاتٍ وَأَجْنَاسِ
عَلَى الضُّيْمِ مَهْمَا يَفْلُلِ الضُّيْمُ مِنْ بَاسِ

(١) أنست: رأيت.

(٢) الآسي: مداوي الجراح.

(٣) الديماس: الحفير تحت الأرض، القبر.

(٤) مُزْجِيَّات: مدفوعات.

(٥) إرم: اسم مدينة قديمة ذكرت في القرآن. الأمراس: الحبال.

يَمُرُّ بِي الْإِخْوَانُ فِي خَطَرَاتِهِمْ
أَهْشُ إِلَيْهِمْ مَا أَهْشُ تَلَطُّفًا
ذُرُونِي وَانْجُوا مِنْ شَطَايَا تُصِيبُكُمْ
فَإِنِّي عَلَى مَا نَالَنِي مِنْ مَسَاءَةٍ
ذُرُونِي لَا يَمْلِكُ وَجِيفِي قُلُوبَكُمْ
فَتَاللهِ لَوْلَا ذَلِكَ الطِّيفُ وَالْهَوَى
ذُرُونِي أَحْسَنُ الْخَمَرِ غَيْرَ مُنْقَرٍ
ذُرُونِي أَنْكُسَ هَامَتِي غَيْرَ مُتَّقٍ
فِي حُرَّةٍ بِكَرٍّ ضُلُوعِي سِيَاجُهَا
أَعِيدُ إِلَيْهَا كُلَّ حِينٍ نَوَاطِرِي
أَنَا الْأَلَمُ السَّاجِي لِبُعْدِ مَزَافِرِي
أَنَا الْأَسَدُ الْبَاكِي، أَنَا جَبَلُ الْأَسَى
فَيَا مُنْتَهَى حُبِّي إِلَى مُنْتَهَى الْمُنَى
دَعَوْتُكَ اسْتَشْفِي إِلَيْكَ فَوَافِنِي

أُولَئِكَ عُوَادِي وَلَيْسُوا بِجُلَاسِي
وَفِي النَّفْسِ مَا فِيهَا مِنَ الْحُزَنِ وَالْبَاسِ
إِذَا لَمْ أُطِقْ صَبْرًا فَأَطَلَقْتُ أَنْفَاسِي
لَأَرْحَمَ صَخْبِي أَنْ يُلِمَّ بِهِمْ بَاسِي
إِذَا مَرَّ ذَاكَ الطِّيفُ وَادَّكَرَ النَّاسِي
لَهُ مُسْعِدٌ لَمْ يَمْلِكِ الدَّهْرُ إِثْعَاسِي
عَنِ الْوَرْدِ مِنْهَا نَفْرَةٌ الطَّائِرِ الْحَاسِي
مَلَامَةٌ رُوَادٍ وَشُبْهَةٌ جُؤَاسِي^(١)
أَرَاشَ عَلَيْهَا سَهْمَهُ مُعْتَدٍ قَاسِي^(٢)
وَأَخْفِضُ مِنْ عَطْفٍ عَلَى جُرْجِهَا رَاسِي
أَنَا الْأَمَلُ الدَّاجِي وَلَمْ يَخْبُ نِيرَاسِي^(٣)
أَنَا الرَّمْسُ يَمْشِي دَامِيًا فَوْقَ أَرْمَاسِ
وَنِعْمَةٌ فِكْرِي فَوْقَ شَقْوَةٍ إِخْسَاسِي
عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْكَ أَنَّكَ لِي آسِي

-
- (١) جواس: جمع جائس وهو من يتردد ويطوف.
(٢) حرة بكر: يريد بها نفسه. أراش السهم: ألزق عليه الريش.
(٣) الساجي: الساكن. المزافر: جمع مزفر وهو الزفر أو الوقع الذي يزفر منه.

أحمد شوقي

هو أمير الشعراء أحمد شوقي بن علي بن أحمد (١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م - ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م). مولده ووفاته في القاهرة. عاش حياته كلها للشعر يستوحيه من المشاهدات والحوادث. وعالج أكثر فنونه، فجرى شعره على كل لسان. من آثاره «الشوقيات»، وهو ديوان شعره، و«دول العرب»، و«مصرع كليوباترة»، و«عترة»، و«مجنون ليلى»، و«قمبيز»، وغيرها.

من قصائده الوطنية نثب القصيدة التالية التي قالها عندما دخل الفرنسيون دمشق في ١٨ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٢٥م، بعد أن ضربوها بالمدافع أربعاً وعشرين ساعة، فقال شوقي في المناسبة:

نكبة دمشق

سَلَامٌ مِنْ صَبَا بَرَدَى أَرَقُّ وَدَمْعٌ لَا يُكْفَكُفُ يَا دِمَشْقُ^(١)
وَمَغْدِرَةُ الْيِرَاعَةِ وَالْقَوَافِي جَلَالُ الرُّزْءِ عَنْ وَصْفِ يَدِيقُ^(٢)
وَذِكْرِي عَنْ خَوَاطِرِهَا لِقَلْبِي إِلَيْكَ تَلَفْتُ أَبَدًا وَخَفَقْتُ

(١) الصُّبَا: الريح اللطيفة. بردى: نهر في دمشق. كفكف: مسح.

(٢) اليراعة: القلم. القوافي: الشعر. الرزء: المصائب.

وبي مما رَمَتْكَ بِهِ اللَّيَالِي
لَحَاها اللهُ أَنْبَاءَ تَوَالَتْ
يُقْصِّلُها إلى الدُّنْيَا بَرِيدٌ
تَكَادُ لِرَوْعَةِ الْأَحْدَاثِ فِيها
أَلَسْتَ دِمَشْقُ لِلإِسْلَامِ ظِئْرًا
وَكُلُّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَتْ
سَمَاؤُكَ مِنْ حُلَى الْمَاضِي كِتَابٌ
بَنِيَتْ الدَّوْلَةُ الْكُبْرَى وَمُلْكًا
لَهُ بِالشَّامِ أَعْلَامٌ وَعُزْسٌ
رِبَاعُ الْخُلْدِ وَيَحْكُ مَا دَهَاها
بَلِيلٌ لِلْقَذَائِفِ وَالْمَنَائِيَا
إِذَا عَصَفَ الْحَدِيدُ أَحْمَرَ أَفْقُ
سَلِي مَنْ رَاعَ غَيْدَكَ بَعْدَ وَهْنٍ
وَلِلْمُسْتَغْمِرِينَ وَإِنْ الْأَنْوَا
إِذَا مَا جَاءَهُ طَلَابُ حَقٍّ
دَمُ الثُّوَارِ تَغْرِفُهُ فَرَنْسَا
بِلَادٌ مَاتَ فَشَيْئُها لِتَحْيَا

جِرَاحَاتُ لَهَا فِي الْقَلْبِ عُمُقُ
عَلَى سَمْعِ الْوَلِيِّ بِمَا يَشُقُّ^(١)
وَيَخْمِلُها إِلَى الْآفَاقِ بَرْقُ
تُخَالُ مِنَ الْخِرَافَةِ وَهِيَ صِدْقُ
وَمُرْضِعَةُ الْأَبْوَةِ لَا تُعَقُّ^(٢)
لَهَا مِنْ سَرْجِكَ الْعُلُويِّ عِزُّ^(٣)
وَأَرْضُكَ مِنْ حُلَى التَّارِيخِ رِقُّ^(٤)
غَبَارُ حَضَارَتَيْهِ لَا يُشَقُّ
بَشَائِرُهُ بِأَنْدَلُسِ تُدَقُّ
أَحَقُّ أَنَّها دَرَسَتْ أَحَقُّ؟^(٥)
وَرَاءَ سَمَائِهِ خَطْفٌ وَصَغَقُ
عَلَى جَنْبَاتِهِ وَأَسْوَدُ أَفْقُ^(٦)
أَبِينِ فُؤَادِهِ وَالصَّخْرِ فَرْقُ^(٧)
قُلُوبٌ كَالْحِجَارَةِ لَا تَرْقُ
يَقُولُ: عِصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُّوا
وَتَعْلَمُ أَنَّهُ نُورٌ وَحَقُّ
وَزَالُوا دُونَ قَوْمِهِمْ لِيَبْقُوا

(١) لحاها الله: لعنها الله. الولي: الصديق. يشق: يصعب.

(٢) الظئر: المرضعة لولد غيرها. عق: عصي، أنكر الجميل.

(٣) السرح: شجر مرتفع.

(٤) رِق: جلد رقيق يكتب فيه.

(٥) درست: زالت وأمحت.

(٦) الحديد: كناية عن المدافع.

(٧) راع: أفزع. الغيد: ج «غادة» وهي المرأة الناعمة. وهن: متصف الليل أو بعده.

وَحُرِّزَتِ الشُّعُوبُ عَلَى قَنَاهَا
بَنِي سُورِيَّةَ أَطْرَحُوا الْأَمَانِي
نَصَحْتُ، وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَارًا
وَيَجْمَعُنَا إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادُ
وَقَفْتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ
وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمٍ كُلِّ حُرٍّ
وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنِيَا
وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضُّحَايَا
فَفِي الْقَتْلِ لِأَجْيَالِ حَيَاةٍ
وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمْرَاءِ بَابُ

فَكَيْفَ عَلَى قَنَاهَا تُسْتَرْقُ؟^(١)
وَأَلْقُوا عَنْكُمْ الْأَحْلَامَ أَلْقُوا
وَلَكِنْ كُلُّنَا فِي الْهَمِّ شَرْقُ
بَيَانٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ وَنُطْقُ^(٢)
فَإِنْ رَمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَأَشَقُّوا
يَدُ سَلَفَتْ وَدَيْنُ مُسْتَحَقُّ^(٣)
إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسَقُّوا وَيَسْقُوا؟
وَلَا يُذْنِي الْحُقُوقُ وَلَا يُحِقُّ
وَفِي الْأَسْرِ فِدَى لَهُمْ وَعِثْقُ^(٤)
بِكُلِّ يَدٍ مُضْرَجَةٍ يُدَقُّ^(٥)

* * *

(١) قناها: رماحها. تسترق: تستعبد.

(٢) إشارة إلى أن اللغة هي الجامع المشترك بين الدول العربية.

(٣) سلفت: سبقت.

(٤) عتق: حرّية.

(٥) مضرجة: مصبوغة بالدماء.

إبراهيم ناجي

هو الشاعر المصري الطبيب إبراهيم ناجي أحمد (١٨٩٨م/١٣١٦هـ - ١٩٥٣م/١٣٧٢هـ). مولده ووفاته في القاهرة. له ثلاثة دواوين شعرية جُمِعت فيما بعد في ديوان واحد، وهي: «ليالي القاهرة»، «وراء الغمام»، و«ديوان الطائر الجريح». وله أيضًا مؤلفات طبيّة ونفسية واجتماعية عدّة، شعره عذب رقيق، أجمله في الغزل.

الأطلال^(١)

«هذه قصة حب عاثر، التقيا وتحابا، ثم أنتهت القصة بأنها هي صارت أطلال جسد، وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تُسجّل وقائعها كما حدثت».

يا فؤادي، رَحِمَ اللهُ الْهَوَى كَانَ صَرْخًا مِنْ خَيَالِ فَهَوَى
اسْقِنِي وَأَشْرَبْ عَلَى أَطْلَالِهِ وَأَزِرْ عَنِّي، طَالَمَا الدَّمْعُ رَوَى
كَيْفَ ذَاكَ الْحُبُّ أَمْسَى خَبْرًا وَحَدِيثًا مِنْ أَحَادِيثِ الْجَوَى

(١) هذه مقتطفات من القصيدة التي تجدها كاملة في ديوانه.

لَسْتُ أَنْسَاكَ، وَقَدْ نَادَيْتَنِي بِفَمٍ عَذْبِ الْمُنَادَاةِ رَقِيقِ
وَيْدٍ تَمْتَدُّ نَحْوِي كَيْدٍ مِنْ خِلَالِ الْمَوْجِ مُدَّتْ لِغَرِيقِ
وَبَرِيقٍ يَظْمَأُ السَّارِي لَهُ أَيْنَ فِي عَيْنَيْكَ ذِيَاكَ الْبَرِيقِ؟

* * *

ذَهَبَ الْعُمُرُ هَبَاءً، فَأَذْهَبِي لَمْ يَكُنْ وَعْدُكَ إِلَّا شَبَحَا
أُنْظِرِي ضِخْكَ وَرَقْصِي فَرِحَا وَأَنَا أَخْمِلُ قَلْبًا ذُبَحَا
وَيَرَانِي النَّاسُ رُوحًا طَائِرًا وَالْجَوَى يَطْحَنُنِي طَحْنُ الرِّحَى

* * *

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي حَبِيبٌ سَاحِرٌ فِيهِ نُبْلٌ وَجَلَالٌ وَحَيَاءٌ
وَإِثْقُ الْخُطْوَةِ يَمْشِي مَلِكًا ظَالِمُ الْحُسْنِ، شَهِيُّ الْكِبْرِيَاءِ
عَبَقُ السُّخْرِ كَأَنْفَاسِ الرَّبِّ سَاهِمُ الطَّرْفِ كَأَخْلَامِ الْمَسَاءِ
مُشْرِقُ الطَّلَعَةِ، فِي مَنْطِقِهِ لُغَةُ الثَّوْرِ، وَتَغْبِيرُ السَّمَاءِ

* * *

أَيْنَ مِنِّي مَجْلِسٌ أَنْتَ بِهِ فِثْنَةٌ تَمُتُ سَنَاءً وَسَنَى
وَأَنَا حُبٌّ وَقَلْبٌ وَدَمٌ وَفَرَّاشٌ حَائِرٌ مِنْكَ دَنَا
وَمِنْ الشُّوقِ رَسُولٌ بَيْنَنَا وَتَدْنِي قَدَمَ الْكَأْسِ لَنَا
وَسَقَانَا، فَأَنْتَفِضْنَا لَحْظَةً لِغُبَارِ آدَمِيٍّ مَسْنَا

* * *

يَا حَبِيبًا زُرْتُ يَوْمًا أَيْكَه طَائِرَ الشُّوقِ، أَغْنِي أَلَمِي
لَكَ إِيطَاءُ الْمَدِلِّ الْمُنْعِمِ وَتَجَنِّي الْقَادِرِ الْمُخْتَكِمِ
وَحَنِينِي لَكَ يَكْوِي أَغْظَمِي وَالثَّوَانِي جَمَرَاتٍ فِي دَمِي
وَأَنَا مُرْتَقِبٌ فِي مَوْضِعِي مُرْهَفُ السَّمْعِ لِمَوْعِ الْقَدَمِ

* * *

أَعْطِنِي حُرِّيَّتِي أَطْلِقْ يَدَيَّ إِنِّي أَعْطَيْتُ مَا اسْتَبَقَيْتُ شَيْءَ
أَوْ مِنْ قَيْدِكَ أَذْمَى مِغْصَمِي لَمْ أَبْقِيهِ، وَمَا أَبْقَى عَلَيَّ
مَا اخْتِفاظِي بِعُهُودٍ لَمْ تَصْنُهَا وَالْأَسْرُ، وَالْدُّنْيَا لَدَيَّ

* * *

يَا حَبِيبِي، كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ مَا بِأَيْدِينَا خُلِقْنَا تُعْسَاءُ
رُبُّمَا تَجَمَّعُنَا أَقْدَارُنَا ذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَ مَا عَزَّ الْلُقَاءُ
فَإِذَا أَنْكَرَ خِلٌ خِلَّهُ وَتَلَاقَيْنَا لِقَاءَ الْغُرَبَاءِ
وَمَضَى كُلُّ إِلَى غَايَتِهِ لَا تَقُلْ: شِئْنَا، وَقُلْ لِي الْحَظُّ شَاءَ

* * *

إيليا أبو ماضي

هو إيليا بن ضاهر أبو ماضي (١٣٠٦هـ/١٨٨٩م - ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) أحد كبار شعراء المهجر، ومن أعضاء الرابطة القلمية فيه. ولد في قرية «المحيذة» بלבنا، وسكن الإسكندرية، وهاجر إلى أميركا. أصدر جريدة «السمير». له «تذكار الماضي»، و«الجداول» و«الخمائل».

ومن قصائده الوطنية الرائعة نثب القصيدتين التاليتين:

* * *

لُبنا

اثنانِ أعياء الدهر أن يبلّيهما	لبنانُ والأملُ الذي لذويه
نشواقهُ والصَّيفُ فوقَ هضابِهِ	وُحْبُهُ والثلجُ في واديهِ
وإذا تَمُدُّ لَهُ ذكاءُ حبالها	بقلائدِ العُقيانِ تُسْتَغويه
وإذا تُنْقِطُهُ السماءُ عَشِيَّةً	بالأنجُمِ الزَّهراءِ تُسْتَرْضيه
وإذا الصُّبَايا في الحقولِ كَزَهرِها	يَضْحَكْنَ ضِخْكا لا تَكْلُفُ فيه
هَنّ اللواتي قد خَلَقْنَ لي الهوى	وسَقَيْنني السُّخْرَ الذي أسقيه
هذا الذي صانَ الشبابَ من البلى	وأبى على الأيامِ أن تطويه

*

ولربّما جَبَلَ أَشْبَهُهُ بِهِ مُسْتَرْسِلاً مَعَ رَوْعَةِ التَّشْبِيهِ

فَأَقُولُ يَحْكِيهِ، وَأَغْلَمُ أَنَّهُ
 يَا لَذَّةَ مَكْدُوبَةٍ يَلْهُو بِهَا
 إِنِّي أَذْكُرُهُ بِذِيَاكَ الْجِمَى
 وَإِذَا الْحَقَائِقُ أَخْرَجَتْ صَدْرَ الْفَتَى
 وَطَنِي سَتَبْقَى الْأَرْضُ عِنْدِي كُلُّهَا -
 سَأَلُوا الْجَمَالَ فَقَالَ: هَذَا هَيْكَلِي

مَهُمَا سَمَا هَيْهَاتِ أَنْ يَحْكِيهِ
 قَلْبِي وَيَعْرِفُ أَنَّهَا تُؤْذِيهِ
 وَجَمَالِهِ وَإِخَالَنِي أَنْسِيهِ
 أَلْقَى مَقَالِدَهُ إِلَى التَّمْوِيهِ
 - حَتَّى أَعُودَ إِلَيْهِ - أَرْضُ التِّيهِ
 وَالشَّعْرَ قَالَ: بَنِيْتُ عَرْشِي فِيهِ

*

الْأَرْضُ تَسْتَجِدِّي الْخَضَمَ مِيَاهَهُ
 يُمَسِّي وَيُضْبِحُ وَهُوَ مَنْطَرُخٌ عَلَى
 أَعْطَاهُ بَعْضَ وَقَارِهِ حَتَّى إِذَا
 لَبَنَانُ صُنْ كَتَرَ الْعِزَائِمَ وَاقْتَصِدَ

وَكُنُوزَهُ وَالْبَحْرُ يَسْتَجِدِّيهِ
 أَقْدَامِهِ طَمَعًا بِمَا يَخْوِيهِ
 اسْتَجْدَاهُ ثَانِيَةً سَخَا بِبَنِيهِ
 أَخْشَى مَعَ الْإِسْرَافِ أَنْ تَفْنِيهِ

*

غَيْرِي يَرَاهُ سِيَاسَةً وَطَوَائِفًا
 وَيُرَوِّحُ مِنْ إِشْفَاقِهِ يَبْكِي لَهُ
 قُلْ لِلْأَلَى رَفَعُوا التَّخُومَ لِأَرْضِهِ
 وَلَمَنْ يَقُولُونَ: الْفَرَنْجُ حِمَاتُهُ

وَيَظْلُ يَزْعَمُ أَنَّهُ رَائِيهِ
 لَبْنَانُ أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تَبْكِيهِ
 ضَيِّقْتُمُ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِيهِ
 اللَّهُ قَبْلَ سَيُوفِهِمْ حَامِيهِ

وطن النجوم

وَطَنَ النُّجُومِ أَنَا هُنَا حَذَقْتُ أَتَذْكُرُ مَنْ أَنَا؟
 أَلَمَحْتُ فِي الْمَاضِي الْبَعِيدِ فَتَى غَرِيرًا أَرْعَنًا؟
 جَذْلَانِ يَمْرُخُ فِي حُقُولِكَ كَالنَّسِيمِ مَذْدِنَا
 يَتَسَلَّقُ الْأَشْجَارَ لَا ضَجْرًا يُحِسُّ وَلَا وَتَى
 وَيَعُودُ بِالْأَغْصَانِ يَبْرِيهَا سُيُوفًا أَوْ قَنَا
 وَيَخُوضُ فِي وَحْلِ الشَّتَا مُهَلَّلًا مُتَيَّمِنَا
 لَا يَثْقِي شَرَّ الْغُيُونِ وَلَا يَخَافُ الْأَلْسُنَا
 وَلَكُمْ تَشْيِيطَنٌ كِي يَدُورَ الْقَوْلُ عَنْهُ تَشْيِيطُنَا
 أَنَا ذَلِكَ الْوَلَدُ الَّذِي دُنْيَاهُ كَانَتْ هَاهُنَا
 أَنَا مِنْ مِيَاهِكَ قَطْرَةٌ فَاضَتْ جَدَاوِلَ مِنْ سَنَا
 أَنَا مِنْ تُرَابِكَ ذَرَّةٌ مَاجَتْ مَوَاكِبَ مِنْ مُنَى
 أَنَا مِنْ طُيُورِكَ بُلْبُلٌ غَنَى بِمَجْدِكَ فَأَغْتَنَى
 حَمَلَ الطَّلَاقَةَ وَالْبَشَاشَةَ مِنْ رُبُوعِكَ لِلدُّنَى
 كَمْ عَانَقَتْ رُوحِي رُبَاكَ وَصَفَّقَتْ فِي الْمُنْجَحَنَى؟
 لِلْأَزْرِ يَهْزَأُ بِالرِّيَّاحِ وَبِالدُّهُورِ وَبِالْفَنَا
 لِلْبَحْرِ فِيكَ مُصْلِيًا لِلصُّبْحِ فِيكَ مُؤَدِّنَا
 لِلشَّمْسِ تُبْطِئُ فِي وَدَاعِ ذِرَاكَ كَيْلَا تَحْزَنَا
 لِلْبَدْرِ فِي نَيْسَانَ يَكْحَلُ بِالضِّيَاءِ الْأَغْيُنَا
 فَيَذُوبُ فِي حَذَقِ الْمَهَى سِخْرًا لَطِيفًا لَيْنَا
 لِلْحَقْلِ يَرْتَجِلُ الرُّوَائِعَ زَنْبَقًا أَوْ سَوْسَنَا
 لِلْعُشْبِ أَثْقَلَهُ النَّدى لِلْغُضَنِ أَثْقَلَهُ الْجَنَى
 عَاشَ الْجَمَالَ مُشَرَّدًا فِي الْأَرْضِ يَنْشُدُ مَسْكَنًا

حَتَّى أَنْكَشَفْتَ لَهُ فَأَلْقَى رَحْلَهُ . وَتَوَطَّنَا
وَاسْتَفَرَضَ الْفَنُّ الْجَمَالَ فَكُنْتُ أَنْتَ الْأَخْسَنَا

* * *

الدكتورة مي حنا سعادة

أديبة لبنانية، وُلِدَت في أميون (لبنان الشمالي) سنة ١٩١٦م، ونالت شهادة التخصص بأمراض النساء والتوليد سنة ١٩٤٢م. مارست، ولا تزال، الطب والجراحة النسائية في طرابلس. لها ديوان شعري بعنوان «أوراق العمر».

لُقِّبَتْ، بحَقٍّ، شاعرة الأمومة في الأدب العربي، نظرًا إلى قصائدها الرائعة التي قالتها في أبنائها، وخاصة في ولدها الشهيد «نقولا» الذي استشهد في الحرب اللبنانية (١٩٧٥م). تقول في إحدى قصائدها لابنها «حَنَّا»:

لو عَلَى عَيْنِي بِنْعَلَيْهِ مَشَى لَمْ أَقُلْ يَوْمًا لَهُ: يَا ابْنِي تَأَنَّى
يمتاز رثاؤها لابنها «نقولا» باللوعة الحارة، والعاطفة المتدفقة، فهي
تتمثل ابنها أبدًا، وتخطبه، وتصوّره بحبٍّ أموميٍّ يفوق، في صدقه والتياعه
كلَّ وصف. وفيما يلي بعض النماذج منه:

* * *

من قال غاب؟

طال البعادُ أما قَدْ حان لُقيانا أيا نقولا، فإنَّ البُعْدَ أوهانا
إنَّ كُنْتُ أبدو أمامَ النَّاسِ هادِئَةً في قلب أُمِّكَ قَدْ فَجَّرَتْ بركانا

مَنْ قَالَ: قَدْ غَابَ؟ كَلَّا لَمْ يَغِبْ أَبَدًا
 أَرَاهُ فِي كُلِّ قَوْمِي غَدَا بَطْلًا
 أَرَاهُ فِي الطَّبِّ فِي كُتُبِي عَلَى شَفَتِي
 أَرَاهُ فِي الطَّيْرِ فِي الْأَشْجَارِ بِاسِقَةٍ
 أَرَاهُ حَوْلِي فِي رَفْقٍ يُدَاعِبُنِي
 يُسِرُّ لِلْأُمِّ شَكْوَاهُ بَلَا وَجَلٍ
 إِنِّي سَأَدْعُو ابْنَتِي «مَيَّا» - يُفَاجِئُنِي -
 إِنَّ الْخُلُودَ، أَيَا ابْنِي، لَيْسَ يَشْغَلُنِي
 شُكْرًا حَبِيبِي لَقَدْ أَعْطَيْتَنَا بَطْلًا
 هَلْ قَدْ تَرَكْتِكَ يَوْمًا؟ كَيْفَ تَتْرُكُنِي
 أَصْفُ حَوْلَكَ وَزَدًا كُنْتَ تَعْشَقُهُ
 كَمْ قَدْ طَلَبْتُ وَكَمْ صَلَّيْتُ جَائِيَةً
 مَضَى شَهِيدًا فَلِمَ أَبْكِي عَلَيْهِ؟ لَقَدْ
 قَدْ كَانَ يَمْلَأُ «أَمِيونًا» بِبَهْجَتِهِ
 أَرَاهُ فِي مُثَلَّةِ الْإِنْسَانِ إِنْسَانًا
 أَرَاهُ فِي وَطَنِ الْأَحْقَادِ قُرْبَانًا
 أَرَاهُ فِي زَهْرَاتِ الْوَرْدِ أَلْوَانًا
 أَرَاهُ فِي نَسَمَاتِ الْفَجْرِ أَلْحَانًا
 وَفِي سَرِيرِي عِنْدَ الصُّبْحِ أَحْيَانًا
 دَوْمًا، وَيَسْرُحُ إِشْكَالًا وَأَشْجَانًا
 حُبًّا وَمَكْرَمَةً مِنِّي وَعِزْفَانًا!
 رَضِيتُ فِيكُمْ، وَكَانَ الْقَلْبُ مَلَانًا
 بِهِ نَتِيهِ، وَقَدْ رَفَعْتَنَا شَانًا
 تَكَلَّى لِأَنْسَجَ لِلْأَيَّامِ أَخْزَانًا؟
 وَأَقْرَأُ الْكُتُبَ أَنْجِيَالًا وَقُرْآنًا
 لِيُخِمِّي اللَّهُ أَبْطَالًا وَشُجْعَانًا
 رَدَّ الرَّدِيعةَ لَمَّا الْوَقْتُ قَدْ حَانَ
 وَالْيَوْمُ يَمْلَأُ كُلَّ الْكَوْنِ إِيْمَانًا

نقولا فيّاض

شاعر وخطيب وطبيب، وُلد في بيروت سنة ١٨٧٨. تلقى علومه في معهد «الثلاثة أقمار»، ثم تخرّج في مدرسة الطبّ الفرنسيّة. وأقام في الإسكندريّة طبيبًا مدة عشرين سنة. ثم انتقل إلى بيروت، وعيّن عضوًا في المجلس النيابي سنة ١٩٣٠، وكان مديرًا للبريد والبرق مدة أربع سنوات. وعرف بمواقفه الخطائيّة. توفي سنة ١٩٥٨. تاركًا وراءه مؤلفات أهمّها: «على المنبر» و«رفيق الأقباحان»، و«الخطابة». ترجم شعرا إلى العربيّة قصيدة لامرّتين الخالدة «البحيرة»، ولامرّتين هو ألفونس دو لامرّتين شاعر فرنسي، ولد في «ماسون» سنة ١٧٩٠. تلقى علومه في معهد اليسوعيين. تأثر بشاتو بريان. وهاجر إلى إيطاليا، ثم إلى الشرق ثم عاد إلى فرنسا وكان عضوًا في الأكاديميّة الفرنسيّة. توفي سنة ١٨٦٩ تاركًا «تأملات شعريّة»، و«جوسلين»، و«كرازيلا».

البحيرة

أهكذا تَنْقُضي دَوْمًا أمانينا
تجري بنا سفنُ الأعمارِ ماخرةً
بُحيرةَ الحبِّ حَيَّاكِ الحيا فَلَكُم
قد كنتُ أرجو ختامَ العامِ يجمعُنا
فجِئتُ أجلسُ وَخدي حيثما أخذتُ
هذا أنيُّك ما بدلتِ نَعْمَتَهُ
وفوقَ شاطئِك الأمواجُ ما بَرَحَتْ
وتحت أقدامِها يا طالَ ما طَرَحَتْ
هل تَذْكُرِينَ مساءً فوقَ مائِكِ إذْ
والبرُّ والبحرُ والأفلاكُ مُضْغِيَّةُ
إلا المجاذيفَ بالأمواجِ ضاربةُ
إذا برئةُ أنعامٍ سُحِرَتْ بها
والموجُ أَضْغَى لِمَنْ أَهْوَى وَقَد تَرَكْتُ
«يا دهرُ قِفْ فحرامٌ أنْ تطيرَ بنا
ويا زمانَ الصُّبا دَعْنَا على مَهَلٍ

نطوي الحياةَ وليلَ الموتِ يطوينا^(١)
بَحَرَ الوجودِ ولا نُلقِي مراسينا
كانت مِيَاهُكِ بالنجوى تحيينا^(٢)
واليومَ للدهرِ لا يُرجى تلاقينا
عني الحبيبةُ آيَ الحبِّ تلقينا^(٣)
وطالَ ما حُمِلَتْ فيه أغانينا
تلاطمُ الصخرَ حينًا وَالْهَوَا حينًا
من رغبةِ الماءِ كَفَّ الريحَ تأمينا^(٤)
يجري ونحنُ سكوتُ في تصايينا^(٥)
معنا فلا شيءَ يُلهيها ويُلْهِينا
يخالُ إيقاعُها العُشاقُ تُلْحِينا
فَخِلْتُ أنَ الملا الأعلى يُناجينا^(٦)
بهذه الكلماتِ الموجِ مَفْتُونا^(٧)
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَتَمَلَّى مِنْ أمانينا
نَلْتَدُّ بالحبِّ في أحلى ليالينا

(١) نطوي: نمت، يقال: طوى الله عمره: أماته.

(٢) الحيا: المطر، الخصب.

(٣) آي: ج آية، وهي علامة.

(٤) رغبة الماء: زبده.

(٥) التصابي: الميل إلى اللهو.

(٦) الملا الأعلى: عالم الأرواح.

(٧) أهوى: أحب. مفتونًا: مندهشًا، منجذبًا.

أَجِبْ دُعَاءَ بَنِي الْبُؤْسَى بِأَرْضِكَ ذِي
خَذِ الشَّقِيَّ وَخُذْ مَعَهُ تَعَاسَتَهُ
هِيَهَاتِ هِيَهَاتِ أَنْ الدَّهْرَ يَسْمَعَ لِي
أَقُولُ لِلَّيْلِ قِفْ وَالْفَجْرُ يَطْرُدُهُ
فَلَنُغْنِمَ الْحُبَّ مَا دَامَ الزَّمَانُ بَنَا
مَا دَامَ فِي الْبُؤْسِ وَالنُّغْمَى تَصَرُّفُهُ
تَاللَّهِ يَا ظِلْمَةَ الْمَاضِي وَيَا عَدَمًا
مَا زَالَ لُجُكِ لِلْأَيَّامِ مُبْتَلِعًا
نَاشِدْتُكَ اللَّهُ قَوْلِي وَأَرْحَمِي وَلَهِي
وَطِرَ بِهِمْ فَهُمْ فِي الْعَيْشِ يَشْقُونَا^(١)
وَخَلُّنَا فَهْنَاءَ الْحُبِّ يَكْفِينَا
فَالْوَقْتُ يُقْلِتُ وَالسَّاعَاتُ تُفْنِينَا
مَمَزَقًا مِنْهُ سِتْرًا بَاتَ يُخْفِينَا
يَجْرِي وَلَا وَقْفَةً فِيهِ تُعْزِينَا
إِلَى الزَّوَالِ فَيَبْلَى وَهُوَ يُبْلِينَا
فِي لَيْلِهِ الْأَبَدِيِّ الدَّهْرُ يَرْمِينَا
فَمَا الَّذِي أَنْتِ بِالْأَيَّامِ تُجْرِينَا
أَتُرْجِعِينَ لَنَا أَخْلَامَ مَاضِينَا^(٢)

* * *

(١) بنو البؤسى: الأشقياء.
(٢) الوله: التحير من شدة الحب.

بولس سلامة

هو شاعر الألم وأيوب القرن العشرين، وُلد في بيت الدين اللّقى من أعمال لبنان سنة ١٩٠٢. كان أبوه يعمل بتجارة بزر الحرير والفيالج. تلقى دروسه الأولى في مدرسة القرية البدائية، ثم انتقل إلى صيدا حيث دخل مدرسة الأخوة المريميين (الفرير)، وذلك سنة ١٩١٣. وما أن انقضت السنة الدراسية حتى وقعت الحرب الكونية الأولى، فعاد إلى قريته، وراح يساعد أباه في أعماله. وبعد انتهاء الحرب دخل مدرسة «الحكمة». ومن ثمّ علّم فيها ثلاث سنوات. وفي سنة ١٩٢٦ تخرّج في معهد الحقوق، وتدرّج في المحاماة. وفي سنة ١٩٢٨ نقل من قوس المحاماة إلى القضاء، فعين حاكمًا صلحيًا في عاليه. أُحيل على التقاعد سنة ١٩٤٤ بسبب الداء الذي سَمّره على فراش الألم أعوامًا. أُجريت له أربع وعشرون عملية، كما فصّل ذلك في كتابه: «مذكرات جريح».

ألم

داءٌ تخلّل في العظام فردّها فلذا وأشلاء على أشلاء^(١)

(١) الفلد: ج الفلدة، وهي القطعة. الأشلاء: ج الشلو، وهو البقية.

سالت على حدّ المباحض مهجتي
وتشابها مني الجراح فأصبحت
وتشيع بي حُمى تهدّ مفاصلي
فأغيب في الكابوس غيبةً سابح
ويح السفينة في الخضمّ شريدةً
كأسي على الألم الدويّ شربتها
لم يبق للندمان بغيّ قطرة
صُبّحي أمرٌ من المساء فعيشتي
أواه لو كان الرقاد يزورني
لا يلتقي جفناي إلا خلسةً
ألمي يشقّ على الخيال لحاقه
هو كلّ آهات العصور تجمعت
أيوب من أيوب؟ ماذا خطبه
فإذا مرّرت على الجريح تَعُدّه
صخبِي وهل في الصبح إلا قلةً
قد كنت أفديهم بأهلي جملةً

فشفارها مصبوغةً بدمائي^(١)
حفرًا تضلُّ بها عُيونُ الرائي
وتدبُّ مثلَ الحيةِ الرقطاء^(٢)
في النارِ بين الحسن والإغماء^(٣)
فكأنها مُنعت من الإرساء
ممزوجةً بمرارةٍ ودماءٍ
بالدنّ في خمارةِ الأرزاء^(٤)
موصولةً الظلماء بالظلماء
لرضيت من دنياي بالإغفاء
فكان بينهما قديمٌ عداءٍ
فيتيه بين البحر والصحراء^(٥)
مرويةً بمدامع الشهداء
هو قطرةٌ وأنا خضمٌّ بلاءٍ^(٦)
فلقد أتيت مدافن الأحياء^(٧)
حَفِظْتُ على دُهمِ الخطوبِ ولائي^(٨)
وبمهجتي لو كان يومٌ فداءٍ^(٩)

(١) المباحض: ج المباحض، وهو آلة لشق الجلد ونحوه.

(٢) الرقطاء: المنقطة بنقط سوداء وببيضاء.

(٣) الكابوس: ما يزعج الإنسان في نومه.

(٤) الندمان: ج النديم، وهو الجليس على الشراب. الدن: إناء للخمر. الأرزاء: المصائب.

(٥) يتيه: يضل ويضيق.

(٦) خطبه: مصيبتة. الخضم: البحر. البلاء: المصائب.

(٧) تَعُدّه: تزوره.

(٨) الدهم: ج الأدهم، وهو الأسود.

(٩) المهجة: النفس.

فإذا بهم والخطبُ حلّ بساحتي لا يذكرون على الزمان وفائي^(١)
غاض الوفاء من الصدورِ قَظْلُهُ في الناسِ ظلُّ الجودِ في البخلاءِ^(٢)

* * *

وحده

سَوَّطَ الْعَذَابِ أَطَالَ شُهُدَهُ فَرَّثَتْ لَأْتُهُ الْمِخْدَهُ^(٣)
أَنَّثَهُ الْحَمْرَاءُ جَارِيَةً مَعَ الْأَنْفَاسِ وَقْدَهُ
لَزِمَ الْوَسَادَةَ عُمَرَهُ مَا أَطْوَلَ الْأَعْوَامَ رَقْدَهُ^(٤)
بَرِمَ السَّرِيرُ بَعَاشِقِي أَعْيَا الْأَسَاءَةَ فَلَنْ تَصُدَّهُ^(٥)
لَا اللَّيْلُ زَحْزَحُهُ وَلَا وَضَحَ النَّهَارِ أَزَالَ وَجْدَهُ
زَفَرَ الْحَدِيدُ وَلَا مَلَامَةً فَالْحَدِيدُ أَطَاقَ جُهِدَهُ

* * *

يَا سَاجِيًّا أَكَلَ الْفَرَاشُ ضُلُوعَهُ وَامْتَصَّ جُلْدَهُ^(٦)
يَا بَرْمَكِيًّا ضَافَهُ شَخْصُ الْعَذَابِ فَقَرَّ عِنْدَهُ^(٧)
عَجَبًا أَكُنْتَ حَفِيدَةً أَمْ كُنْتَ وَالِدَهُ وَجْدَهُ
بَوَّاتُهُ الْقِمَمَ الْعُلَى وَعَلَى الْعَصُورِ رَفَعَتْ بَنْدَهُ^(٨)

(١) حلّ بساحتي: أي أصابني.

(٢) غاض: غار.

(٣) السهد: السهر. الأتة: الآه.

(٤) الوسادة: المخدة.

(٥) برم: ملّ. الأساة: ج الآسي، وهو الطيب. أعيا: أعجز.

(٦) الساجي: هنا، النائم.

(٧) قرّ عنده: سكن عنده.

(٨) بوائته: أنزلته. القمم العلى: المراتب العالية. البند: الراية.

مَا آهَةٌ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ مَعِينِكَ مُسْتَمِدَّةٌ

أَيُّوبُ أَغْوَزَهُ الْخِلْدُ فَجَاءَ مِنْكَ يَرُومٌ خَلَدَهُ^(١)
ثَارَ الزَّمَانُ مِنَ الْوَرَى وَعَلَيْكَ وَحْدَكَ صَبٌّ حَقَدَهُ^(٢)

ظَفِرَتْ يَدَاكَ مِنَ الْوُجُودِ بِشَوْكِهِ وَأَضَعْتَ وَرْدَهُ
شَوْكَ أَحَدَّتُهُ الْمَبَاضِعُ فِي الْعِظَامِ فَمَا أَحَدَهُ
كَمْ صَدُّ عَنْكَ مُخَاتِلٌ هَزَلُ الزَّمَانِ أَجْدُ سَعْدَهُ^(٣)
قَدْ كَانَ يُكَبِّرُ مِنْكَ تَسْلِيمًا فَيَشْرِيهِ بِسَجْدِهِ
فَإِذَا بِهِ، وَالْجَاءُ أَبْطَرُهُ يُصْعَرُ عَنْكَ خَدَّهُ^(٤)
رَضِيَخَ الْخُسَاسَةِ مِنْذُ مَا صَدُرَ اللَّثِيمَةُ فَضْرَ نَهْدِهِ
الْعَارُ شَدَّ قِمَاطَهُ وَالْفَاجِرَاتُ بَسَطْنَ مَهْدَهُ^(٥)
وَالْدَهْرُ إِنْ يَهْزِلُ تَسُدُّ عَرْشَ النُّهَى وَالْحُسْنُ قِرْدَهُ

وَصَرَفْتَ مَذْمَعَكَ الْأَنْوَفَ بِبَسْمَةٍ فَأَتَيْتَ ضِدَّهُ
ضَبًّا بِوَجْهِكَ أَنْ تَصْغُرَهُ الدَّمُوعُ وَأَنْ تُخِذَهُ^(٦)
عَافَ الدَّنَاءَةَ سَيِّدُ جَعَلَ الزَّمَانُ الْوَعْدَ عَبْدَهُ

(١) يروم: يطلب.

(٢) الورى: الناس.

(٣) المخاتل: المخادع.

(٤) البطر: التكبر لدى النعمة. صغر خدّه: تكبر.

(٥) القماط: خرقة عريضة تُلف على المولود الصغير. المهد: السرير.

(٦) خذ الشيء: أثر فيه.

يُودي الكريم من الطوى
عشت الغريب سماحة
وأشدّ آلام التّغرب
جأز الحسام قرأبه
بصميمه الوشي المنمنم
بين الشهيد وأهليه
جلد تجوز به العيون
والسهل إن جاز المدى
ولكان يسعدك الشواء
لو كان يكتنف الشذا

ويورث الأجيال مجده^(١)
ومروءة، وعري موده
جهل منزلة وشده
والغمد يجهل منه حده^(٢)
وهو لا يدري فرنده^(٣)
من شاسع الأبعاد وهذه
وتجهل الأحداق بُغده
تجاهل الأبصار نجده
بموطن خلّيت بُرده^(٤)
في عصفه الأرياح بلده

* * *

كيف السبيل لغفوة
ليل المريض وهل له
ليل يضل به الزمان
أبد تحوك نسيجه
يخلو من الطيف الأنيس
ولكان يقنع بالمنام
أفل الشباب وطيبه
للصخر عيد شبابيه

والهم ساق إليك وفده
في العمر، أو في الوقت مده
فليس يغلم منه قصده
كف السهاد المستبده
وليت للأطيف رده
فتى يرى الأحلام جنده
أواه لو سدت مسده
وحُرمت بهجته ورغده

(١) يودي: يهلك. الطوى: الجوع.

(٢) الحسام: السيف. القراب: الغمد، بيت السيف.

(٣) الوشي المنمنم: المزين. الفرند: السيف.

(٤) الشواء: الإقامة.

بَهَظَ الْغَطَاءُ رَفِيقَهُ وَأَمْضُ كَاهِلَهُ وَزَنْدَهُ^(١)
 قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ الْمَحْجَلُ لَوْ هَوَى جَبِلُ لَصَدَّهُ
 أَتَرَى اللَّحَافَ غَطَاءَهُ أَمْ بَاتَ هَذَا السِّتْرُ لَحْدَهُ
 كَمْ مَرَّةً طَلَبَ الْجِمَامُ يَعُودُهُ فَيَبْتُ عَقْدَهُ^(٢)
 عِشْرِينَ وَعَدَا بَثُّهَا الْأَجَلُ الْكَذُوبُ وَحَلُّ وَعْدِهِ
 بَرْقُ خَلُوبٍ يَحْصِدُ الْقَلِقُ الْكَسِيرُ الْقَلْبُ رَعْدَهُ^(٣)

يَا مَوْتُ، يَا مَلِكَ السَّخَا رَحْمَاكَ لَوْ عَجَّلْتَ فَقْدَهُ
 عَجَبًا لَكَفُّكَ، وَهِيَ دَأْمَاءُ الْعَطَاءِ تَصِيرُ جَعْدَهُ^(٤)
 وَلَكِنْتَ أَشْفَقَ رَاحِمٍ لَوْ فِي الْمَنَامِ سَلَبْتَ رَشْدَهُ
 مَا هَذِهِ عَمَقُ الْجِرَاحَةِ بَلْ دَفِيقُ الْوَعْيِ هَذِهِ

يَا أَيُّهَا الدَّانِي وَقَدْ تَسْتَوْحِشُ الْآفَاقُ بَعْدَهُ
 وَإِذَا مَضَى أَرْجُ الرَّبِيعِ تَرَقَّبُ النَّسِمَاتُ رِنْدَهُ
 وَالذِّكْرِيَّاتُ إِذَا نَشَدْنَ الْخَيْرِينَ ذَكَرْنَ رِفْدَهُ^(٥)
 عَجَبًا أَيْذَكُرُهُ الزَّمَانُ وَتَخْفِرُ الْأَصْحَابُ عَهْدَهُ
 تَتَأَوَّهُ الْعِظَمَاتُ إِمَّا تَذْكُرُ الْعِظَمَاتُ وَدَّهُ
 فَتَقُولُ يَا عَلَمَ الْمَرْوَةِ وَيَخُ بِؤْسِكَ مَا أَشَدَّهُ!
 مَاتَ الْمَعْدَبُ وَخَدَهُ أَتَرَاهُ عَاشَ الْعَمَرَ وَخَدَهُ؟

(١) أمض: أوجع. الكاهل: مقدم أعلى الظهر ممّا يلي العنق.

(٢) الحمام: الموت.

(٣) برق خلوب: السحاب الذي يلمع برقه ولا مطر فيه.

(٤) الدأماء: البحر.

(٥) الرغد: العطاء.

صلاة

يا مَلِيكَ الحَيَاةِ أَنْزِلْ عَلَيَّا
جُودَ كَفِّيكَ، إِنْ تَشَاءُ، يَمَلَأُ
وَاهِبَ النُّورِ والنَّدَى للروابي
طَالَ فِي مَنْقَعِ الْعَذَابِ مَقَامِي
فَنَسِيتُ النَّهَارَ مِنْ طُولِ لَيْلِي
إِنْ حَظِّي مِنَ الْحَيَاةِ سَرِيرٌ
كُلُّ هَذِي الدُّنَى طَلِيقَةٌ أَضَحَّتْ
أَتَلَوَى عَلَى الْجِرَاحِ صَبَاحًا
فَتَعَجَّبْتُ لِسَابِحٍ فِي جَحِيمٍ
عَزَمَةٌ مِنْكَ تَبْعَثُ الصَّخْرَ حَيًّا
الْعِيشَ نَمَاءً وَيَفْرَشُ الْجَدْبَ فَيَا
أُولَنِي مِنْ جَمَالِ وَجْهِكَ شَيْئًا
وَاسْتِرَاحَ الشَّقَاءُ فِي مُقْلَتِيَا
أَتَرَى اللَّيْلَ شَرَعَكَ الْأَبَدِيَا
سَرْتُ مِنْهُ فَلَمْ يَعُدْ خَشَبِيَا
وَيْحَ حَظِّي! أَضَحَّتْ حَرَامًا عَلَيَّا
وَيَفُتُّ النَّاسُورُ عَظْمِي عَشِيَا
صَاغَهُ الْخَطْبُ زورْقًا بَشْرِيَا

* * *

الباب الثامن:

متفرقات

يوم مولدي

عُذتَ يا يَوْمَ مولدي

عدتَ يا أَيُّهَا الشقي

الصُّبَا ضاعَ من يدي

وغزا الشَّيْبُ مفرقي

ليتَ - يا يَوْمَ مولدي

كنتَ يومًا بلا غدا!!

* * *

ليتَ أني - من الأزل

لم أعش هذه الحياة

عشتُ فيها ولم أزل

جاهلاً أنها حياة!!

ليتَ أني من الأزل

كنتُ روحًا

ولم أزل!!

* * *

أنا عُمُرُ بلا شباب

وحياة بلا ربيع

أشتري الحب

بالعذاب!!

أشتريه

فَمَنْ يَبِيعُ؟؟!

* * *

عريثٌ من الشبابِ وكنتُ غُصْنًا كما يَغري من الورقِ القُصيبُ
ونحتُ على الشبابِ بدمعِ عيني فما نفعَ البكاءِ ولا النحيبُ
فيا ليتَ الشبابَ يعودُ يومًا لأخبره بما فعلَ المشيبُ

أبو العلاء المعري

* * *

وهتُ^(١) عَزَمَاتِكَ عندَ المشيبِ وما كانَ من حقّها أن تهَي
وأنكرتَ نفسَكَ لَمَّا رَأَيْتَ فلا هيَ أنتَ ولا أنتَ هي
إذا ذُكِرَتْ شَهَوَاتُ النُّفوسِ فلا تشتهي سوى أن تشتهي

؟؟؟

* * *

(١) وهت: هزلت، ضعفت.